جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

ملامح الرؤية الكونية عند الشيخ محمد الغزالي

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص: عقيدة إسلامية.

من إعداد:

لمقدم سهيلة

نجعي وحيدة

المشرف:

د. باي أحمد عامر

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
الأشراف جمال	أستاذ محاضر–أ	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	رئيسا
د. باي أحمد عامر	أستاذ محاضر–أ	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
عمارة محمد	أستاذ محاضر–ب	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	عضوا

الموسم الجامعي: 1440هـ–1441هـ/2019م–2020م.

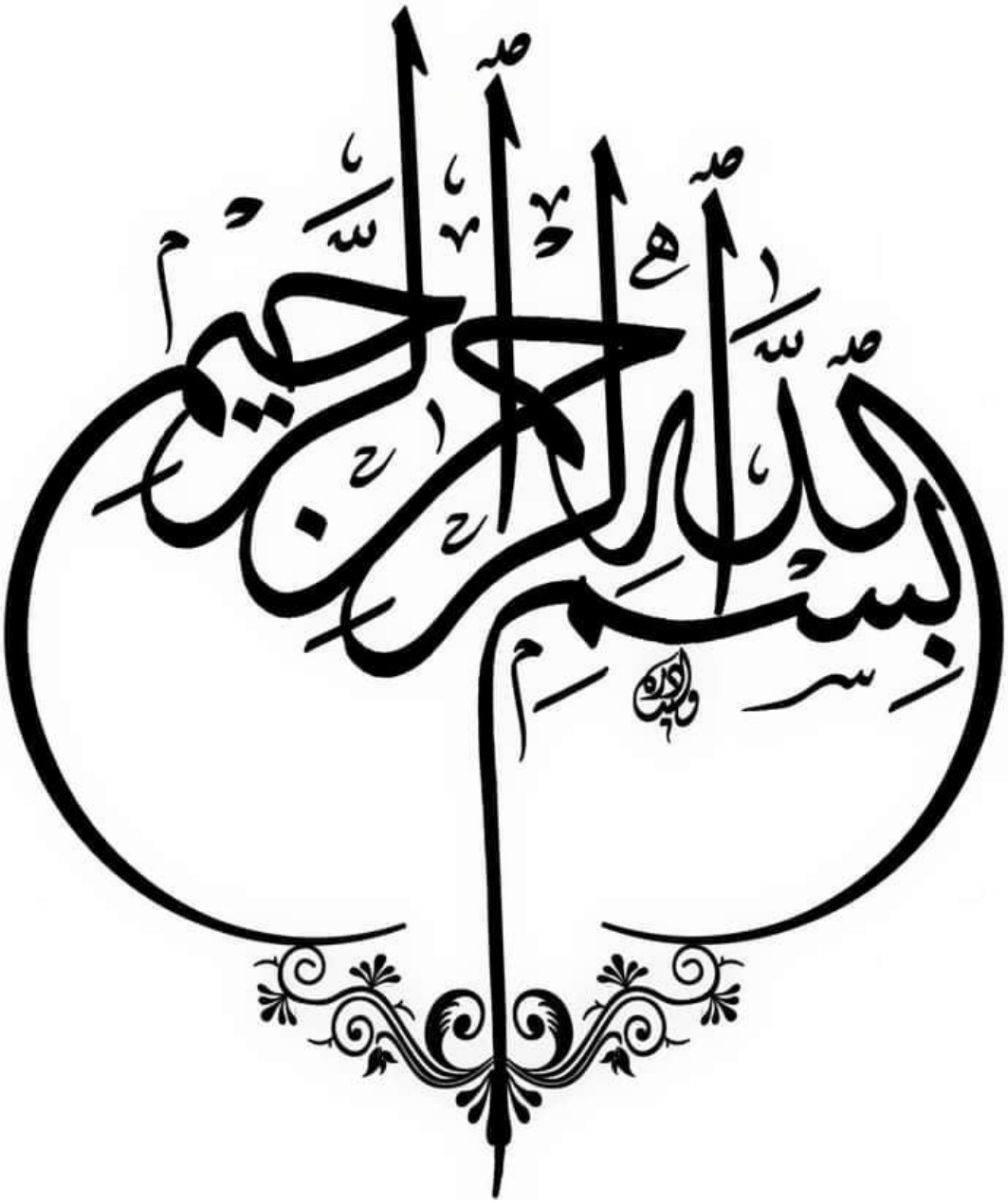
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

بدأنا بأكثر من يد، وها نحن اليوم والحمد الله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام، وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل.

نهدي ثمرة جهدنا العلمي: إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء، وإلى من حاكت سعادتي بخيوط من قلبها؛ إلى أمي الغالية شفاها الله وأمدها بالصحة والعافية، إلى من سعى وتعب لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح، والذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر؛ إلى أبي الغالي -حفظهما الله تعالى-.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى زوجي العزيز : زكور فرحات نص -حفظه الله تعالى- وأميري؛ ابني الغالي: محمد غيث، وكل إخوتي: محمد يس، ومحمد العيد، وأخواتي: فيروز، وسميرة، وخولة، وخالتي حكيمة، وزميلتنا وريدة ميسة.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع، إلى كل أصدقائي.
إلى من علمونا حروفا من ذهب ، وكلمات من درر، وعبارات من أسمى وأجلى القيم ومن صاغوا لنا من علمهم حروفا ، ومن فكرهم منارات تنير لنا سبيل العلم والنجاح؛ إلى أساتذتي الكرام.

نجمي وحيدة؛ وسهيلة لمقدم.

شكر وعرفان:

الحمد لله المتفضل علينا بنعمة العلم والسير في سبيل تحصيله؛ القائل في كتابه العزيز:"**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**" سورة إبراهيم: الآية:7.

فالشكر كله لله عز وجل؛ على وافر نعمه، ونحمده تعالى على عونه وتيسيره إتمام هذا البحث، ونسأله جل جلاله أن يرزقنا صلاح النية والسّداد في القول والعمل.

ثم نثني الثناء الجزيل للوالدين الكريمين على دعائهما وتشجيعهما المتواصل على طلب العلم، فنسأل الله عز وجل أن يلبسهم لباس الصّحة والعافية ويبارك في أعمارهم.

والشكر الموصول لأستاذنا المشرف على البحث؛ لدكتور: "**باي أحمد عامر**" الذي تفضل بقبول الإشراف على مذكرتنا، والذي قدم لنا مجهودا كبيرا ، بإرشاداته القيمة وملاحظاته الدقيقة، بارك الله له في علمه وعمله.

ولا يفوتنا أن نرفع برقيات الشكر والثناء إلى كل من ساعدنا ولو بالقليل من الأساتذة الكرام؛ في سنوات الدراسية السابقة في الجامعة، والأصدقاء الذين وقفوا بجانبنا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ملخص البحث:

تناولنا في بحثنا لرسالة الماستر الموسومة بعنوان: ملامح الرؤية الكونية الإسلامية عند الشيخ محمد الغزالي (ت1997م)، حيث تطرقنا فيها للرؤية الكونية لشخصية مهمة في العالم الإسلامي من خلال أبرز مؤلفاته التي عالجت هذا الموضوع بشكل مباشر كعقيدة المسلم، والمحاور الخمسة للقرآن الكريم، ونظرات في القرآن، والجانب العاطفي في الإسلام... وقد حاولنا ابرز تلك الرؤية في محاورها الأساسية الثلاثة: الله خالق الكون، والإنسان، والكون.

أولاً: فيما يخص رؤيته الكونية لله تعالى، فقد عمل مبرهناً ومثبتاً لوجود الله تعالى، ورادّاً على الملحدين ما زعموا من نفي وجوده. وقدم الأدلة العقلية والنقلية المثبتة لوحدانيته ونفي الشريك عنه، وتنزيهه عن كل صفات النقص، وإثبات كل صفات كمال.

ثانياً: فيما يخص رؤيته الكونية للإنسان؛ فقد تناولناها في علاقته مع الله؛ وما يستوجب عليه من توحيد خالص، وتخليصه فكره من المفاهيم الشركية الزائغة، والعقائد الزائفة التي انتشرت في الديانات المحرفة والباطلة، والرد على الفلسفات بما فيها المادية والجدلية، ولا يتأتى ذلك إلا بامتثال الأوامر الشرعية واجتناب نواهيه، فقد كرم الله الإنسان وسخر له المخلوقات من أجل خدمته، باعتباره كائن مفضل ومكرم، خلقه بيده وأعلى مقامه على سائر خلقه، كما خصه بأن نفخ فيه من روحه، وكلفه بالوظيفة العظيمة التي خلق من أجلها، ألا وهي عبادته لله تعالى.

ثم تطرقنا لعرضه لأصل خلقه، وحسن تقويمه من تراب، ثم الإجابة الأسئلة الوجودية المتعلقة بالإنسان؛ من أين وجد؟ ولماذا وجد؟ وإلى أين مآله؟ وفي علاقته مع نفسه في ثنائية الروح والجسد، ليؤدي وظيفته الاستخلافية، وما يتبعها من تحقيق عمارة الأرض معنويا وماديا.

ثالثاً: ثم نتناول الرؤية الكونية له للكون، القائمة على أن الله سبحانه خلقه وخلق ما فيه من حيوان ونبات وجماد، فالرؤية الكونية تجيب من وجهة نظر الإمام عن؛ خلق الكون ووظيفيته ومصيره، كما أوضحته النصوص الشرعية التي استقاها الغزالي من المصادر الإسلامية المتمثلة أساسا في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الكونية الإسلامية، الله، الإنسان، الكون، محمد الغزالي.

Abstract

In our research, we dealt with the Master's Thesis entitled: Features of the Islamic Cosmic Vision of Sheikh Muhammad al-Ghazali (d. 1997 CE), in which we dealt with the cosmic vision of an important figure in the Islamic world through his most prominent books that dealt with this topic directly, such as the Muslim's creed, the five axes of the Holy Qur'an, and looks at The Qur'an, and the emotional aspect in Islam ... We have tried to highlight this vision in its three main axes: God is the Creator of the universe, mankind, and the universe.

First: With regard to his cosmic vision of God Almighty, he worked as a proof and proof of the existence of God Almighty, and as a reference to the atheists what they claimed to deny his existence. And he provided the mental and mental evidence proving his oneness and the exile of the partner from him, his distancing from all the characteristics of deficiency, and the proof of all the qualities of perfection.

Second: With regard to his universal vision of man; We have dealt with it in his relationship with God. And what is required of him from pure unification, and ridding him of his thought from the erratic polytheistic concepts, the false doctrines that have spread in distorted and invalid religions, and the response to philosophies, including materialism and dialectic, and that does not happen except by obeying the Sharia commands and avoiding his prohibitions, God honored man and mocked creatures for him His service, as a preferred and honorable being, created him with his hand and gave him the highest standing over the rest of his creation, as well as singled out him by breathing into him his soul, and entrusting him with the great job for which he was created, namely his worship of God Almighty.

Then we dealt with his presentation of the origin of his creation, and straightened him well from dust, and then answered the existential questions related to man. Where was it found? And why was he found? And where is its destination? And in his relationship with himself in the dualism of soul and body, in order to perform its deductive function, and what follows it in achieving the architecture of the earth, morally and financially.

Third: Then we deal with his cosmic vision of the universe based on the fact that God Almighty created him and created the animal, plant and inanimate objects in it, so the cosmic vision answers from the Imam's point of view: The creation, function and destiny of the universe, as explained by the legal texts that Al-Ghazali gleaned from the Islamic sources represented mainly in the Noble Qur'an and the noble hadiths of the Prophet.

Key words: Islamic cosmic vision, God, man, universe, Muhammad al-Ghazali.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ج	جزء
هـ	هجري
م	ميلادي
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وجعل فيه الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، وصلي اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

جاء القرآن الكريم متضمنا ومبينا للرؤية الكونية الإسلامية التي غيرت كليا نظرة الإنسان للوجود وأعطت لحياته معنى جديد، يتمايز عن معتقداته القديمة في عصور الجاهلية، وما تبعها من امتداد للعصور الحالية، وقد تمحور المنظور الكوني القرآني على عناصرها الثلاثة: الله، العالم أو الكون، الإنسان.

التعريف بالموضوع:

إن الفطرة الإنسانية جبلت على حب المعرفة والاطلاع والبحث الدائم عن مصدر وجودها، وطبيعة الحياة التي تلائمها، والشغف بمعرفة مصيرها، وليتمكن الإنسان من وجود هويته الحقيقة، وحل الاستفهام المعرفي من أين؟ وإلى أين؟ في ظل الرؤية الكونية الإسلامية التي تجيب عن كل تساؤلات الإنسان، وتسهّل عليه فهم ماهيته في هذا الكون، وتعطيه تصورا سليما عن مصدر وجوده، ومصيره، وعلاقته بالله والكون، ومن العلماء المعاصرين الذين كان لهم اهتمام بالعقيدة الإسلامية ، وبيان جوانب الرؤية الكونية؛ الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى (ت1997م)، وقد كان له اسهام كبير في إيضاحها في مقابل الرؤى الكونية المختلفة، والفلسفات المتعددة، وبحثنا هو محاولة للوقوف عند أبرز ملامح الرؤية الكونية الإسلامية من خلال آثاره وكتابته الكثيرة.

أهمية الموضوع:

يكتسب الموضوع أهميته في اجلاء في إيضاح الرؤية الكونية عند الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أ- أهمية بيان ملامح الرؤية الكونية للإمام محمد الغزالي، حيث أظهر من الآيات والأحاديث المرتبطة ببداية الكون ونشأته، وضبط العلاقة بينه وبين الإنسان المسلم ليحقق توحيد الله تعالى، وبوجوده ومكانته في الكون لتسخيره له وارتباطه به مصيراً، مجيبا على الأسئلة الوجودية من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

ب- الوقوف على الرؤية الكونية الإسلامية من منظور عقائدي، تشريعي، عقلي مظهراً محاسنها وفضلها على سائر الرؤى الكونية المختلفة، ودعوة المسلمين للتمسك بها، ودعوة الآخر غير المسلم للدخول في الإسلام، مع استثمار للعلوم والفلسفات الحديثة، وبجعل التحديات مجالا للبحث والتفكر والإبداع، ولإيجاد حلول عاجلة لما تعانيه البشرية اليوم من انتكاسة أخلاقية، وفقر وجهل ومرض بمنهج علمي ديني أصيل، ولتفتح آفاق علمية بحثية جديدة من تجديد في الدراسات العقدية.

ج- العناية بإظهار الجهود المعرفية والإبداع الفكري للشيخ محمد الغزالي في رؤيته للكون، وبما تميزت به إضافته للرؤية الكونية الإسلامية، وبما تحمله من دلالات إيمانية وتربوية من الأداء الوظيفي للإنسان، والقيام بواجبه الإستخلافي والتعميري، فهو خليفة الله في الأرض محققا العبودية لله عز وجل، مستثمرا طاقاته المادية والمعنوية لأجل تحقيق وجوده الأمثل، مستفيدا من خيرات الأرض في ظاهرها وباطنها، في طريق سيره ومسؤوليته إلى مصيره يوم الميعاد.

الإشكالية:

يسعى البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما هي ملامح الرؤية الكونية الإسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيسي أسئلة فرعية وهي:

-فيما تمثلت رؤية الشيخ محمد الغزالي لوجود الخالق وصفاته ؟

-ما هي الرؤية الكونية للإنسان في فكر الشيخ محمد الغزالي؟ وما أثرها على الإنسان وجودا ووظيفة ومصيرا ؟

-وماهي رؤيته الكونية للكون خلقا ومصيرا؟ -ما أثرها على حياة الإنسان وآفاقها؟

أهداف الموضوع:

نسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

أ-الوقوف على أهم الأثار المرجوة من الرؤية الكونية الإسلامية وفق تصور محمد الغزالي، وإبرازها كما طرحها.

ب-الوقوف على أهم ملامح الرؤية الكونية عند محمد الغزالي بكونها تختلف عن الرؤى المختلفة في الديانات السماوية الأخرى كاليهودية والمسيحية والفلسفات الحداثية والوجودية، وإظهار أفضليتها وحفاظها على المراد الإلهي لها في إطار الفهم النبوي الشريف، بمنهج دعوي علمي معاصر، مع الوقوف على تصوره في أركانها، وأهم ميزاتها وعلاقته بالله والإنسان والكون.

الدراسات السابقة:

لقد حظيت مؤلفات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى باهتمامات كثيرة ودراسات أكاديمية وفي مجملها رسائل أو مذكرات قُدمت في جامعات عالمية مرموقة منها جامعات الجزائر، لكن من خلال بحثنا على هذا الموضوع؛ لم نقف على بحث أكاديمي فيما علمنا، ولا كتاب بعينه يتناوله فيما خصص له بهذا العنوان، ولم نقف إلا في بعض جزئياته فيما يتعلق بملامح الرؤية الكونية الإسلامية عند الإمام الغزالي، ولربما يكون بحثنا هو الأول في جامعة الوادي.

لكن موضوع الرؤية الكونية بعمومه ، تناوله العديد من الباحثين المعاصرين منهم:

1-**الكتب:**

أ-**الرؤية الكونية الحضارية القرآنية**، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، أ.د. عبد الحميد أبو سليمان، دط، دن، 2008م/ 1429هـ.

اعتبر فيها أن قضية الرؤية الكونية قضية مصيرية لأي إنسان لأنها ذاته وترتبط بوجوده، ومعنى هذا الوجود، وغايته ودافعيته، وبقدر سلامة هذه الرؤية وإيجابياتها الروحانية، فهي تعطيه دافعية التعمير لبناء الحضارة وتحقيق معنى الحياة، والغاية الفطرية السامية منها، فهي سبب تحضر الأمم وتخلفها، فقد تتبع مسارها تاريخيا وذكر ما تعانيه اليوم من تشويش للمفاهيم لاستعادة الأمة الإسلامية مجدها من جديد، لكن ما يؤاخذ على هذه الدراسة إهماله الحديث عن التحديات الواقعية المعاصرة للمسلمين، من فلسفات غربية؛ كالحداثة وتأثرهم بأديان مختلفة، وللاختلاف الحاصل في البيئات المتعددة.

ب-**الرؤية الكونية التوحيدية**، آية الله الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط2، نشر معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، إيران، 1409هـ/1989م.

فهي دراسة عقدية تناولت جوانب التعريف بأنواع الرؤى الكونية ؛ كالعلمية والفلسفية والواقعية، وكذا الدينية، قد فصل المطهري رؤيته الكونية في ظلال التوحيد.

2-**الرسائل**:

أ_ رسالة ماستر في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، للطالبة: بن موسى كريمة، **الرؤية الكونية عند توشيهيكيو إيزوتسو من خلال كتاب: الله والإنسان في القرآن**، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية، الوادي، الجزائر، تحت إشراف: د. زهير بن كتفي، 2018-2019م/1439-1440هـ.

كانت الدراسة حول الفكر الياباني واهتمامه بالإسلام، مع ترجمة موجزة للمؤلف الذي أسلم (ت1993م)، والوصف الداخلي والخارجي للكتاب، وتحدثت عن رؤيته الكونية القرآنية مفهومها ومبادئها، مسالكها وخصائصها مع ذكر لمفهومها وبعض إشكالاتها ومبادئها، وقد حوت على حدود الرؤية وأفاقها مع نقدها وتقييمها، فهي المخرج لما تتخبط فيه الإنسانية الحديثة، وتحدثت عن محاولته تجديد علم الكلام، فهي دراسة معاصرة ترد

بشكل مباشر على الفكر الغربي من حداثة غربية برؤيتها الكونية التي أدت إلى انتكاسات جسدتها الحضارة المعاصرة من تخبط في العدمية وفقدان للوجهة.

ب-رسالة ماستر في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، للطالب: بلخير عليلي، **الرؤية القرآنية للآيات الكونية " البحر أنموذجا"**، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية، الوادي، الجزائر، تحت إشراف: د. خالد حباسي، 2018-2019م/1439-1440هـ.

لقد تميزت دراسته بعرض الرؤية القرآنية التي جاء بها البيان القرآني؛ بتناول الأبعاد الستة للبحر البُعد: اللغوي، العقدي، التشريعي، التسخيري، الصوفي والإعجازي، ثم عرج على ذكر واجب الإنسان مع البحر، وذكر كنهه وحقيقته؛ ليحسن واجب شكر التسخير في التعامل معه، بالاستفادة المباحة، ومنع الفساد فيه، ويثمر حسن التدبر في ذلك المخلوق الكوني العظيم، تعظيم الخالق وتوحيده، ويرسخ مفهوم الرؤية التوحيدية.

أما عن موضوع دراستنا فهو يتقاطع مع هذه الدراسات في زوايا معينة، مخصصا الدراسة في آثار الشيخ محمد الغزالي، ومستفيدا مما سبق من لك الدراسات، ومدعما لرؤيتهم الكونية الإسلامية في إنقاذها للبشرية مما تتخبط فيه.

أسباب اختيار الموضوع:

أذكر أهمها بإجمال فهي تعود إلى جانبين جوهريين أولهما:

الجانب الموضوعي: ويتمثل في كون الدراسات في الرؤية الكونية للإمام الغزالي مما تحتاجه الساحة العلمية، في إطار البحوث المبذولة في محور الرؤية الكونية الإسلامية، لإجابتها على تساؤلات بشرية مقلقة طُرحت ولا تزال ، حول وجود الإنسان، وما يتطلبه الواجب الاستخلافي؛ من واجبات مع النفس بين أداء لحقوقها أو تفريط في واجباتها، وواجبات تجاه الخالق بالبعد عن المعصية والتزام طاعته، ومع الكون بين تطور حضاري أو تخلف.

وثانيهما الجانب الذاتي: وهو الاستفادة من الجهد التجديدي للشيخ في رؤيته الكونية الإسلامية، وتعبيرا عن محبتنا له ورغبتنا في إطلاع القارئ الكريم لمذكرتنا عليه ومعرفة زاده العلمي وإرثه المعرفي الذي تركه لنا.

منهج البحث:

للإجابة على إشكالية بحثنا استوجب علينا الاعتماد على جملة من المناهج العلمية الأكاديمية التي فرضتها علينا طبيعة الدراسة وهي كالآتي:

منها **المنهج الاستقرائي:** الذي استهدفنا من خلاله جمع شتات المادة العلمية في مظان كتبه الكثيرة، في محاور الرؤية الكونية.

والمنهج الوصفي التحليلي: استخدمناه للوقوف على إبراز أهم صفات وملامح الرؤية الكونية عند الإمام خاصة في عرض اهتمامه بالكتاب والسنة، ثم تحليل مختلف الإجتهادات وبيان آثارها. وإبراز النتائج المحصلة والتعليق عليها لنقف فهما وتفسيرا واستنباطا.

ضوابط الدراسة:

فقد لجأنا إلى عدد منها في إيضاح ملاح رؤية الإمام الكونية فقد كانت على النحو التالي:

أ– بالتعريف بمصطلحات العنوان مع التمهيد للمباحث والمطالب، وتوثيق المعاني اللغوية من المعاجم المعتمدة، وبالترجمة لبعض الأعلام؛ الخادم تعريفها لموضوع البحث.

ب– أما في تدوين الآيات فقد اعتمدنا على رواية ورش بن نافع من مصحف المدينة بالرسم العثماني، مع ذكر السورة وبجانبها رقم الآية. أما تخريج الأحاديث النبوية فبالإحالة إلى مصادرها بذكر الراوي والسند والتعليقات.

ج– وعمدنا إلى توثيق المصادر والمراجع في الحاشية بذكر المؤلف، والعنوان ثم رقم الطبعة، والمكان، ودار النشر ثم تاريخه، ويلي ذلك رقم الصفحة، مع مراعاة الفروق والإضافات كالتحقيق والأجزاء.

صعوبات الموضوع:

نذكر من أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد البحث هي:

أ– نظرا لقلة الدراسات الأكاديمية المتعلقة بدراسة الرؤية الكونية الإسلامية عموما، وعند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى خاصة بحيث لم يتطرق أحد إليها فيما علمنا ووصلنا، مما جعل بحثنا يباشر هذا الموضوع لأول مرة.

ب– شح المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع مباشرة وعدم تنوعها من مؤلفات الشيخ محمد الغزالي وهذا ما شكل لنا صعوبة لكون الدراسة حديثة، مما جعلنا نعمد إلى استقصاء أفكاره منها لكونه لم يفردها بمؤلف مباشر لها، فكان بحثنا جمعا لمتفرق في مؤلفاته ومقالاته.

خطة البحث وحدوده:

لعرض معلومات الدراسة بشكل منهجي وسليم فقد سرنا وفق خطة المنهجية المقسمة كالآتي:

المبحث التمهيد: تضمن مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية وحياة الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية.

المطلب الثاني: حياة محمد الغزالي الشخصية والعلمية.

المبحث الأول: الرؤية الكونية الإسلامية في الله عز وجل عند الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: وجود الخالق.

المطلب الثاني: وحدانية الخالق.

المطلب الثالث: كمال الله وتنزيهه.

المطلب الرابع: أثر الرؤية الكونية لله على الإنسان.

المبحث الثاني: الرؤية الكونية الإسلامية في الإنسان عند الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: بدء الإنسان.

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان.

المطلب الثالث: وظيفة الإنسان.

المطلب الرابع: مصير الإنسان.

المطلب الخامس: أثر الرؤية الكونية الإنسان على حياته.

المبحث الثالث: الرؤية الكونية في الكون عند الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: وجود الكون وخصائصه في فكر الشيخ الغزالي.

المطلب الثاني: وظيفة الكون وخصائصه في فكر الشيخ الغزالي.

المطلب الثالث: نهاية الكون وخصائصه في فكر الشيخ الغزالي.

المطلب الرابع: أثر الرؤية الكونية للكون عليه.

الخاتمة.

المبحث التمهيدي: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية وحياة الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية ومصطلحاتها.

الفرع الأول: مفهوم الرؤية لغة واصطلاحا.

الفرع الثاني: مفهوم الكون لغة واصطلاحا.

الفرع الثالث: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية.

المطلب الثاني: حياة الشيخ محمد الغزالي الشخصية والعلمية.

الفرع الأول: مولد ونشأة الشيخ محمد الغزالي.

الفرع الثاني: المسار العلمي للشيخ محمد الغزالي.

الفرع الثالث: الآثار العلمية للشيخ محمد الغزالي.

المبحث التمهيدي: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية وحياة الشيخ محمد الغزالي.

إنّ كل مدرسة فكرية أو عقدية يتبنّاها النّاس تقوم حتمًا على أساس نظرة وتفسير للكون وللعالم وللوجود والمصير للمبدأ والمنتهى، وهذا الأساس يُصْطلح عليه بعنوان " **التصور أو الرؤية الكونية** ".

إن جميع الأديان والمذاهب وكل المدراس الفكريّة والفلسفيّة والاجتماعية تستند إلى رؤية كونية خاصّة بها، والأهداف التي تطرحها مدرسة معينة وتدعو إلى تحقيقها والطريق الذي ترسمه والواجبات والمحظورات التي تضعها والمسؤوليات التي تفرضها كلها نتائج التصور الذي تتبناه تلك المدرسة تجاه الوجود والحياة، بالرغم من أنّ مفهوم الرؤية الكونية يتخلل مختلف حقول وأنساق المعرفة الإنسانية من فلسفة وعلوم اجتماعية وطبيعة وفنون وجماليات وعلوم تطبيقية وغيرها، يبد أن الدارس يلحظ المكانة المركزية التي يحتلها الدين في بلورة وبناء الرؤى الكونية خاصة الدين الإسلامي.

من هنا نسعى ضمن هذا المطلب إلى تقديم نظرة إجمالية حول مصطلح الرؤية الكونية في إطار توظيفه الفلسفيّ والعقديّ، وخاصة الدينيّ عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى.

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية ومصطلحاتها.

قبل التطرق إلى هذه المسألة العلمية سنحاول التعريف بمفهومها من الناحية اللغوية بتمييز كل لفظة لوحدها، ثم نعرفها من الناحية الاصطلاحية، كما سنحاول توضيح بعض الإشكالات التي ترتبط بهذا المفهوم، وتمييز الرؤية الكونية الإسلامية عن بقية الرؤى الأخرى، وسنلاحظ من خلال عرضنا لتعريفاتها، أنها تختلف باختلاف المنطلقات والزوايا؛ المنظور من خلالها إليها.

الفرع الأول: مفهوم الرؤية.

أ- **الرؤية في اللغة:**

الرُؤية، بالضم: إدراك المرئي، ولها أربعة معاني:

الأول: النظر بالعين التي هي الحاسة، وما يجري مجراها، قال الله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)،[1] وهو فإنه مما يجرى مجرى الرؤية بالحاسة، فإن الحاسة لا تصح على الله تعالى، ودليل على ذلك قوله تعالى: (يراكم هو قبيه من حيث لا ترونهم).[2]

الثاني: الوهم والتخيل مثل: أرى أنَ زيدا منطلق،

الثالث: بالتفكير مثل: (إنِيَ أرى ما لا ترون)[3] .

الرابع: النظر بالقلب أي؛ بالعقل،[4] وعلى ذلك قوله تعالى: (ما كذب الفَؤادُ ما (رأى))، [5] يقال رأيته بعيني رؤية ورأيته رأي العين أي حيث يقع البصر عليه[6].

رأى الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين: يقال رأى زيدا عالما ورأى رأيا ورؤية راية وقال ابن سيده: الرؤية النظر بالعين والقلب،[7] وهي ما يُرى في النوم، وهي المشاهدة بالبصر حيث كان، أي؛ في الدنيا والآخرة،[8] والحاصل مما ذُكر أن المدلول اللغوي لها هو المشاهدة والنظر ونحوهما سواء بالعين الحاسة المبصرة أو العقل أو القلب أو ما كان من الأوهام.

ب–الرؤية في الاصطلاح:

1 – سورة التوبة: الآية 105.

2 – سورة الأعراف: الآية 28.

3 – سورة الأنفال، الآية: 48.

4 – تاج العروس من جواهر القاموس، محمَد بن محمد أبو الفيض الملقب ب: مرتضى الزبيدي، دط، دار الهداية، دت، ص38، ص103.

5 – سورة النجم: الآية: 13.

6 – أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج14، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص295.

7 – مصدر سابق، ج14، ص291–299.

8 – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، م1، دط، دم، دار الفضيلة، دت، ص472.

من خلال تتبع المفهوم اللغوي للرؤية فإنه من الواضح أنَ المدلول الاصطلاحي لها يختلف باختلاف ما تتعلق به تارة وموطن بحثها تارة أخرى، ولما كانت محل الدراسة فهي في البعد الفكري والعلمي بالنسبة للإنسان –كما سيتضح – فإن المراد بها: " **إدراك الإنسان الأشياء على ما هي عليه في نظر المدرك** "،[1] وهي إدراك الإنسان للمخلوقات وفق مراد الخالق،[2] وما نقصده في هذا البحث من الرؤية، هو الرؤية الكونية من وجهة النظر الإسلامية لله خالق الكون والإنسان وعلاقتهم ببعض.

الفرع الثاني: مفهوم الكون.

أ–الكون في لغة:

الكون، وهو" مصدر كان التامة؛ يقال: كان يكون كونا؛ أي: وجد واستقرَ "،[3] وقيل: " هو الحدث "،[4] كما في لسان العرب وقيل: "هو مطلق الوجود العام"[5].

الكون: الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض، أو زمان راهن، يقولون: كان الشيء يكون كونا "إذا وقع وحضر"، قال الله تعالى: **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)**[6] أي؛ حضر وجاء، ويقولون قد كان الشتاء أي جاء وحضر، وأما الماضي فقولنا "كان" زيدا أميرا

1– علي العبود، الرؤية الكونية الإلهية دراسة في الدوافع والمناهج فلسفية كلامية عرفانية، نور للدراسات، ط2، 2012م–1433هـ، ص13.

2 – تعريف إجرائي.

3 – النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، د ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ–1989، ج 4، ص 211.

4 – ابن منظور، لسان العرب، ط:4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414 هـ، ج13، ص363.

5– إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسط، تحقيق مجمع للغة العربية، د ط، د ن، د ت، ج2، ص806.

6 – سورة البقرة: الآية 280.

يريد أن ذلك كان في زمان سالف، وقال قوم: المكان اشتقاقه من كان يكون فلما كثر توهمت الميم أصلية فقيل تمكن كما قالوا من المسكين تمسكن.[1]

والكون: عند الحكماء مقابل الفساد، وقيل الكون والفساد في عُرف الحكماء يطلقان بالاشتراك على معنيين[2]:

الأول: حدوث صورة نوعية وزوال صورة نوعية أخرى، يعني أن الحدوث هو الكون، والزوال هو الفساد،

والثاني: الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود، وهذا المعنى أعم من الأول.

والكون: اسم لما حدث دُفعة كانقلاب الماء هواء، فإن الصورة الهوائية كانت ماء بالقوة وخرجت منها إلى الفعل دفعة، فإذا كان على التدرج فهو على الحركة، وقيل الكون: حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها، وهو عبارة عن وجود العالم من حيث عالم، لا من حيث أنه حق، وإن كان مرادفا للوجود المطلق العام عند أهل النظر، وهو بمعنى الكون عندهم[3].

وما يلاحظ على المعاني اللغوية أنه في مجملها تدل على الحدوث والخلق والإيجاد بعد العدم.

ب–الكون في الاصطلاح:

1 – أحمد فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دط، دم، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ص 148.

2 – محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح؛ رفيق العجم وعلي دحروج، ج2، ط1، دم، مكتبة لبنان، 1996م، ص1392.

3– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، مصدر سابق، ص158.

عرفه عبد المجيد النجار في كتابه: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل إلى تعريف مفردة الكون على أنه: "هو ما سوى الله تعالى من عناصر الكون جميعا"[1] ، وعليه نقصد به كل العناصر المادية والمعنوية لعالمي الشهادة والغيب.

الفرع الثالث: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية.

بناء على ما قدمنا من التعريفات اللغوية والاصطلاحية فلابد من الإشارة إلى أن المراد من "الرؤية" ليس "الإحساس" بالكون أو العالم، بل المرادة هنا هو "المعرفة" فالرؤية الكونية ليست رؤية بصرية ،بل هي إدراك عقلي عميق متجذر؛ وفي ضوء هذا المعنى ستكون الرؤية الكونية مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشكلة "المعرفة".

وهكذا أيضا بالنسبة إلى مفردة "الكونية"، حيث ينبغي عدم الخلط بينها وبين "الكوني" وإن اشتركا في النسبة إلى الكون؛ فالكوني يهتم بالبحث عن القوانين العامة للظواهر الكونية على صعيد النشأة، وطبيعة العلاقة بينها، وهو ما يعرف "بعلم الكون" بينما ترمز مفردة "الكونية" إلى تساؤل حول مبدأ وجود العالم.[2]

وقد عُبر عنها بألفاظ متعددة كلها تدل على نفس المعنى تقريبا: كالنظرة الشاملة للعالم، والتصور الكلي للوجود، أو النظرة إلى العالم، والنظرة إلى الكون، والمفهوم الكلي للعالم، أو للوجود وهو ما يعبر عنه بالأيديولوجيا[3].

مصطلح رؤية كونية أو رؤية العالم مصطلح "بدأ في الفلسفة الألمانية "welanschauuny" ليدل على مفهوم أساسي مستخدم في هذه الفلسفة، ويشير إلى

---

1 – عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1993م، ص40.

2– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت لبنان، ج2، 1982م، ج2، ص248.

3 – محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، معرفة الله، ط8، دار الرسول الأكرم، بيروت لبنان، 2008م -1429هـ، ج1، ص22.

طريقة الإحساس وفهم العالم بأكمله، بالتالي يمثل الإطار الذي يقوم من خلاله كل فرد برؤية، تفسير العالم المحيط والتفاعل معه ومع مكوناته ..." [1] .

الأساس الأول الذي تنطلق منه الصلات الوجودية المعطاة أمام الإنسان؛ إحساسه بالظواهر المحيطة به، وانخراطه في التعاطي الطبيعي معها، لكن كما هو معروف في الوعي البشري، يستخدم الحواس أكثر مما تفرض هي نمطها عليه، وإلا فبعض الفلسفات التجريبية منطلقها وأصلها المعرفي المولد، هو الواقع الذي يترجم بالحواس المعرفية مهما تعمقت مصدرها الطبيعي المادي، في حين أن المدرسة تميز بين الإحساس بالكون ومعرفته[2].

وما يجب أن نُنبه عليه ثانيا؛ هو أنه لا ينبغي أن يختلط الأمر علينا في تعبير "الرؤية الكونية " فنحملها على معنى " الإحساس بالكون " وذلك بسبب استعمال كلمة " الرؤية" المأخوذة من " النظر" الذي هو جزء من الإحساس.

إنما معنى "الرؤية الكونية" هو "معرفة الكون"، وبهذا المعنى فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بمسألة المعرفة التي هي من مختصات الإنسان، بخلاف الإحساس الذي يشترك فيه الإنسان مع سائر الأحياء، ولهذا كانت "معرفة الكون" من مختصات الإنسان ومن المواضع التي تربط بقوة العقل والتفكير، فكثير من الحيوانات لها إحساس تفوق فيها الإنسان، مثل باصرة العقاب وشامة الكلب والنملة، وسامعة الفأر، ولبعضها حواس يفتقدها الإنسان، مثل حاسة الرادار الموجودة في بعض الأحياء. فالحيوانات تحس العالم فقط، أما الإنسان فيحسه ويفسره وفي واقعنا البشري قد ينظر مجموعة من الأفراد إلى ظاهرة معينة فيتلقونها عن طريق الحواس لكن قسما منهم فقط يتجه إلى تفسيرها... تفسيرا معينا أو تفسيرات متنوعة[3].

---

1 – مقال على الشبكة، الحاج أوحمنة دواق، في مفهوم الرؤية الكونية وضرورة مفهمة المعرفة المؤهلة نظريا: الرابط: https : //www.mominoun.com/articles2305 تاريخ الصفح: 2020/8/31، على الساعة: 14:30 ظهراً.

2 – المرجع نفسه.

3– مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، ط 2، منظمة الإعلام الإسلامي، معاونيه العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية إيران، طهران، 1409هـ-1989م، ص9، (بتصرف).

وفي العالم العربي والإسلامي استخدمت العديد من الاصطلاحات التي تعادل المصطلح الألماني: "weltanschauung" نظير "الرؤية الكونية" أو "النظرة إلى العالم" أو "التصور الكلي للعالم" وغيرها، ونحن في هذا البحث سنعتمد مصطلح "الرؤية الكونية" لأنه الأكثر استعمالا في المحافل العلمية والفكرية، وبعد هذه الملاحظات يمكننا أن نعرفها بأنها: التفسير أو النظر إلى العالم أو الكون أو الوجود فهي: مجموعة من المعتقدات والنظريات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان مجموعة من سلوكه وأفعاله، بل الوجود بصورة عامة[1].

ويعتمد كل واحد من الأديان والشرائع والمبادئ والفلسفات الاجتماعية على رؤية كونية معينة،[2] إن جميع الأديان والمذاهب وكل المدارس الفكرية والفلسفية والاجتماعية تستند إلى رؤية كونية خاصة[3].

مع أن هذا المصطلح حديث نسبيا بيد أن دلالته ومفهومه قديمان، ومتجذران في العقلية الإسلامية والفكر الإنساني بشكل عام.

إن أسئلة من قبيل: من أنا؟ ومن أين جئت؟ وماذا أفعل في هذا العالم؟ وإلى أين سأنتهي؟ تسمى بالأسئلة الكلية أو الأسئلة الغائية أو الأسئلة الكبرى والمصيرية، وهي أسئلة شغلت الفكر الإنساني على مدى التاريخ، والسبب في ذلك أن هذه الهواجس ترتبط بالرغبة العميقة والحاجة الأصلية من فطرة الإنسان في البحث عن إجابات لتلك الأسئلة لكن أمر هذه الأسئلة لا يبقى مجرد إحساس فطري بل يتحول إلى جهود عقلانية منطلقة تبنى عليها نظريات ويلتزم وفقها بأيديولوجيات، فالإجابة عن تلك الأسئلة هي: "الرؤية الكونية" وهذه هي الدلالة.

لكن المصطلح كان يستخدم في سياقات مختلفة للدلالة نفسها ففي تراثنا الإسلامي مثلا، كانت ضمن قضايا الإيمان، وكان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله و... هو الإجابة

1- محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، مصدر سابق، ص22. (بتصرف)
2- مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، دط، دار التيار الجديد، 1985م، ص7.
3- مرجع سابق، ص5.

عن تلك الأسئلة، ومع تطور البحث الفكري والفقهي استخدمت مصطلحات جديدة فكانت العقيدة على سبيل المثال بحثا في قضايا الإيمان، ثم تحول البحث في العقيدة إلى علم الكلام، حيث وظف علم الكلام للعقيدة وهكذا بالنسبة للرؤية الكونية فقضايا الإيمان أو قضايا العقيدة أو الرؤية الكونية هي مصطلحات سادت الفكر الإسلامي في سياق تعبيرها عن إجابات الأسئلة الكبرى.

وكما قام جمع من العلماء بتقديم عدة تعريفات لها، نذكر أبرزها: ما جاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة؛ بأنَها:" تصور عام عن العالم وعن مكانة الإنسان في هذا العالم وتفسير الكون والحياة، والرؤية الكونية تفترض نسقا من القيم"[1]، ومن موارد استعمالها أنها عبارة عن:" النظرة الفكرية التي يحملها الإنسان حول الوجود والأنسان"،[2] وعرفها مصباح يزدى في كتابه: دروس في العقيدة الإسلامية بأنها:" مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والأنسان، بل وحول الوجود بصورة عامة"،[3] أما علي العبود في مؤلفه الرؤية الكونية الإلهية فقال في مدلولها: "بأنها النظرة الفكرية التي يحملها الإنسان حول الوجود والإنسان وتكون داخلة في تكوين رؤيته الاعتقادية"[4].

فالكون وحي منظور يوافقه ويفسره وحي مسطور، وفق نزعة توحيدية غائية أخلاقية حضارية، لذلك تميزت الرؤية الكونية الإسلامية بخصائص أكسبتها عوامل البقاء والصلاحية منها: أن للكون خالقا عالما خلق الطبيعة للإنسان ورسم منهجه، رافعا من شأنه للاستخلاف والتعمير، وأن نهايته لا تتوقف على موته بل تمتد للآخرة، وأنها واقعية وحقيقية، واضحة ومنطقية، تحمل عوامل الإقناع، حيث تحترم وتؤسس للتكامل الوجودي (تعلق بعضها على بعض في البقاء والفناء)[5].

1- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، د ط، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م، ص335.

2- علي العبود، الرؤية الكونية الإلهية، مصدر سابق، ص14.

3- مصباح يزدى، دروس في العقيدة الإسلامية، مصدر سابق، ص22.

4 - علي العبود، الرؤية الكونية، مصدر سابق، ص14.

5 - عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2، دم، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص51.

أما الأستاذ مرتضى مطهري فيذهب إلى أن الرؤية الكونية هي: " الأساس والخلفية الفكرية التي يستند إليها اعتقاد معين ليصيغ بها نظرته إلى الكون والوجود، ويقوم بتفسيره وتحليله"[1]، فهي رؤية توحيدية تنظر إلى الكون باعتباره أحد المخلوقات التي تحفظ بالإرادة والعناية الإلهية، ولو ابتعدت عنها تلك العناية الإلهية لأسلمتها إلى الفناء والعدم ترى أن الكون لم يخلق عبثا بل هناك أهداف وحكمة تكمن وراء خلق الإنسان والكون.[2]

وأنه لم يخلق شيء في غير موضعه وبدون حكمة وفائدة، فهي رؤية تستمد مدخلاتها من التعاليم الدينية السماوية أي؛ من مصدر غير الفكر البشري، الذي يُطلب فيها إعمال العقل، وفهم الواقع وفق معطيات الوحي، فهي الرؤية التي تجمع الثبات؛ والعموم؛ والشمول من جهة،[3] فضلا عن عنصر القداسة؛ والعصمة؛ والاستقلالية التي توافق الشريعة الإسلامية في اليسر والموازنة بين مصالح العباد دنيا ودين، حيث تنمي الوعي في الارتباط الكوني بالغاية من وجود البشر.

1- مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، مصدر سابق، ص8.

2 - مصدر سابق، ص22.

3 - طلال فائق الكمالي، نظرية المعرفة في سياقها الإجرائي، دط، دم، دن، دت، ص34.

المطلب الثاني: حياة الشيخ محمد الغزالي الشخصية والعلمية.

لقد عرفت الأمة الإسلامية عدة علماء خدموا الإسلام من أجل رفع راية الحق وإبطال الباطل، ونصرة الإسلام من بينهم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى، الذي كرس حياته لخدمة الدين وبيان مضامينه السمحة، والذود عنه مما شابه من فهوم خاطئة، واستجابة للضرورة المنهجية في دراستنا نقف على جانب من سيرته وبيئته الاجتماعية والعلمية التي كانت سببا وعاملا مؤثرا في تكوين شخصيته.

الفرع الأول: مولد ونشأة الشيخ محمد الغزالي.

هو "الداعية المجدد الشيخ محمد الغزالي بن أحمد موسى السقا، مصري المولد والنشأة، ولد في يوم: 05 ذو الحجة 1335هـ، الموافق ل: 22 من سبتمبر 1917م،[1] من أسرة ريفية فقيرة ومتدينة، في قرية "نكلا العنب" محافظة: "البحيرة"،[2] التي انجبت العديد من كبار أهل الادب والعلم، الذين خلقوا شهرة واسعة في مصر والعالم الإسلامي منهم الشاعر المجدد محمود سامي البارودي، وثلاثة من أئمة الأزهر في العصر الحديث هم: الشيخ سليم البشري والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد شلتوت،[3] والشيخ عبد العظيم الزرقاني و الشيخ حسن البنا وغيرهم من عظماء الامة،[4] ولقد اختار له والده اسم محمد الغزالي تيمنا بحجة الإسلام أبو حامد الغزالي استجابة لنزعة صوفية لدى الوالد[5].

1- محمد عمارة، الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، ط2، القاهرة، دار السلام، 1430هـ -2009م، ص29.

2- عمر بطيشة، الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر، دط، دار الفاروق، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010م، ص11.بتصرف.

3- محمد شلتوت: (1310هـ- 1383م/ 1863-1893م) عالم مصري وشيخ الجامع، نال إجازة العالمية سنة 1918م، عين مدرسا بالمعاهد ثم بأقسام التخصص، ثم وكيلا لكلية الشريعة، ثم عضوا في جماعة كبار العلماء ثم شيخا للأزهر سنة: 1958، وكان عضو مجمع اللغة العربي سنة 1946م، من أهم مؤلفاته: " فقه القرآن والسنة "، " مقارنة المذاهب " أعلام الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والسناء من العرب والمستشرقين، ج4، ص173.

4- محمد الغزالي، محاضرات في اصلاح الفرد والمجتمع، دط، دن، دت، ص10-11.

5- محمد عمارة، الشيخ الغزالي الموقع الفكر والمعارك الفكرية، مرجع سابق، ص29.

نشأ الغزالي في اسرة تضم بين سبعة إخوة هو أكبرهم، وكان والده يعتمد عليه في رعاية الأسرة، ويقول في حال مرضه مسليا لزوجته وأولاده: لا تحزنوا؛ تركت لكم بعدي محمد الغزالي، وكان بارا بوالديه وعند حسن الظن بوالديه، قياما بالواجب نحو أسرته، وكانت أمه سيدة فاضلة بارة محسنة تحب تقديم الخير ومد يد العون للناس، ودائمة الحث له على الإحسان لأهل القرية، وتقديم العون لأرحامه والمحتاجين[1].

الفرع الثاني: المسار العلمي للشيخ الغزالي.

تدرج الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى في مراحل التعليم، فبعد حفظه للقرآن الكريم وتعلم القراءة وهو في العاشرة من عمره، التحق طالبا للعلم الإسلامي بالمعهد الديني التابع للأزهر الشريف بمدينة الإسكندرية، فحصل على شهادة الابتدائية سنة: 1932م، ومن نفس المعهد- القسم الثانوي- حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة: 1937م، ثم التحق بالتعليم العالي الأزهري كلية – أصول الدين – بالقاهرة، وفيها تلقى العلم على كوكبة من كبار العلماء منهم: الشيخ عبد العظيم الزرقاني،[2] والإمام محمود شلتوت، والشيخ إبراهيم الغرباوي، والشيخ عبد العزيز بلال .. وغيرهم.

ثم تخرج من "كلية أصول الدين" فنال شهادة: "العالمية"، سنة:1941م، كما تحصل من نفس الكلية على إجازة الدعوة والإرشاد 1943م[3]، متخصصا في الدعوة وحصل على درجة التخصص في التدريس وهي تعادل درجة الماجستير حاليا سنة: 1943م، وتزوج وهو طالب بكلية أصول الدين ورزق بتسعة أولاد.

---

1 – عبد الحليم عوسي، الشيخ محمد الغزالي (تاريخه وجهوده وأراءه)، دط، دن، دت، ص8.(بتصرف).

2- محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر من أهالي الجعفرية، ونسبه إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفّية، ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، تخرج من كلية، أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث توفي بالقاهر في عام: 1367هـ/1948م من مؤلفاته: مناهج العرفان في علوم القرآن، أعلام الزركلي، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين، ج6، ط5، ص210.

3- محمد عمارة، الشيخ الغزالي الموقع الفكر والمعارك الفكرية، مرجع سابق، ص29.

والتقى بالشيخ حسن البنا في نهاية مرحلة تعليمة الثانوي بالأزهري بالإسكندرية سنة: 1943م وكان له تأثير ظاهر على تكوينه، وقد ظهر أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثة في الكلية[1]، وبعد تخرجه عمل إماما وخطيبا في مسجد "العتبة لخضراء" ثم تدرج في الوظائف حيث صار مفتشا على المساجد، ثم تدرج في الوظائف، ثم أصبح واعضا ثم وكيلا لقسم المساجد، ثم مديرا للمساجد ثم مديرا للتدريب فمدير للدعوة والإرشاد.

ظل فترة طويلة خطيبا لمسجد عمرو بن العاص بالقاهرة وقضي في معتقل الطور عاما سنة: 1949م، كما قضى في سجن طرة فترة من الزمن، وفي سنة: 1981م، أعير للمملكة العربية كأستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم اشتغل في كلية الشريعة بقطر، وبعد عودته عين وكيلا لوزارة الأوقاف بمصر، كما تولي رئاسة المجلس العلمي في جامعة الأمير عبد القادر الجزائري بالجزائر لمدة خمس سنوات وكانت آخر مناصبه[2].

توفي رحمه الله عليه في الرياض يوم: 1997/03/09م، ونقل إلى المدينة المنورة، حيث دفن في مقبرة البقيع، وكان لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود دور في تقدير مكانة الرجل، وتكريمه في حياته وبعد مماته، ومواساة أسرته[3].

رحمة الله على الشيخ الجليل محمد الغزالي السقا، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى عباده الصالحين، وحشرنا الله وإياه مع الأنبياء والصديقين والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

لقد استفاد شباب المسلمين من الشيخ محمد الغزالي من خلال الخطب والدروس والندوات والكتب والمقالات... وتخرج على يديه الألاف من التلاميذ والطلاب من أنحاء العالم الإسلامي حاملين راية شيخهم في تبليغ دعوة الله ونشر رسالة الإسلام، حيث شهد بذلك الكثير من العلماء والدعاة ؛ نذكر من أبرزهم:

1- عمر بطيشة، الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر، مرجع سابق، ص11.

2- مرجع سابق، ص12.

3 – عبد الله العقل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دط، دن، دت، 1469هـ-2001م، ص948.

- **الشيخ يوسف القرضاوي:** حيث كتب كتاب بعنون: "الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن" حيث قال أثناء عنه في كتابه قال " ولقد تحدث الكثيرون عن الشيخ بعد أن خلا مكانه، وغاب عن الساحة وأغمد حسام طالما سُل في سبيل وظل مصلتا حتى آخر لحظة في حياته وسقط صاحبه، هو في يده مدافعا عن الإسلام...".[1]
- حيث **قال عنه محمد عمارة:** "لم يكن الشيخ الغزالي مجرد عقل مجهد ومجدد ولا مجرد داعية حامل هموم الامة ومربط بفروسية، وعلى ثغور الإسلام على امتداد خمسين عاما، ترك لنا فيها قرابة الستين كتابا، وغير ذلك من المقالات والخطب والمحاضرات والحوارات التي ستبقى للجهاد الفكري في سبيل النهضة".[2]
- اثنى عليه الشيخ **عمر بطيشة** على الشيخ محمد الغزالي في كتابه: "الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر" حيث قال: أنه عالم جليل ومن أبرز علماء مصر في القرن العشرين – محمد الغزالي – حيث سعا وراء الحق بكل جهده واضعا نصب عينيه منهج الإسلام[3].
- قال عنه الشيخ **أبو الحسن الندوي:**"كنت حريصا على الاجتماع بالشيخ الغزالي فهو من شخصيات الإخوان المسلمين البارزة، وأحد كتاب النهضة الدينية بمصر"[4].
- وقال **عبد الصبور شاهين:**" قرأت الدنيا له عشرات الكتب في الإسلام ودعوته، وتلقت عنه ما لم تتلق عن أحد من معاصريه حتى إن عصرنا هذا يمكن أن يطلق عليه في مجال الدعوة: عصر الأستاذ الغزالي"[5].

---

1 – يوسف القرضاوي، الشيخ محمد الغزالي كما عرفته، دط، دن، دت، ص2.

2– محمد عمارة، الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكر والمعارك الفكري، مرجع سابق، ص15.

3 – عمر بطيشة، الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر، ص9.

4 – أنظر: راغب الرجاني، محمد الغزالي إمام الأئمة، مقال على الشبكة العنكبوتية، رابط المقال: https //www.ilamstory.com/articles22398 ، تاريخ الصفح :2020/8/31م.

5– مرجع سابق، مقال محمد الغزالي إمام الأئمة.

الفرع الثالث: الآثار العلمية للشيخ الغزالي.

لقد كان للشيخ محمد الغزالي كثير الكتابة غزير العطاء ألف خلال مسيرته العلمية عشرات الكتب في المجالات المختلف كالفقه والسياسة والاقتصاد، والتصوف والسياسة والفقه... غيرها.

بالنسبة لمجال الرؤية الكونية الإسلامية؛ لم يفرد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى كتابا بهذا العنوان بشكل كامل، لكن كانت مؤلفاته تصبغ بها، فمما ألفه عن أركانها نجد:

1- **عقيدة المسلم:** فكتاب عقيدة المسلم الذي تميز بتوسع كثير في جانب الله تعالى في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته وكماله وتنزيهه، تكلم أيضا عن مصير الإنسان والكون.

2- **المحاور الخمسة في القرآن الكريم:** تكلم فيه عن الله توسع كثيرا في إثبات وحدانية الله والرد على معتقدات المشركين.

الركن الثاني الإنسان:

من أهم الكتب التي تكلم تناولته:

1 –مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي: تحدث عن وظيفة الإنسان بشكل مفصل.

2 –الجانب العاطفي في الإسلام: تميز بتوسع في تكلم عن بداية خلق الإنسان وطبيعته.

الركن الثالث الكون:

من أهم مؤلفاته التي تناولته:

1–نظرات في القرآن: تحدث عن الكون على وظيفته ومصيره؛ لكن الكتاب الذي تكلم فيه أكثر جانب الكون خاصة وجود الكون هو المحاور الخمسة.

2-من مقالات الشيخ محمد الغزالي الجزاء الثالث.

ملخص المبحث التمهيدي:

يظهر من خلال هذه التعريفات للرؤية الكونية الإسلامية –سابقة الذكر- أن الكون بما حبى من الكائنات المتوزعة في آفاق السماوات والأرض والجبال والمخلوقات الحيوانية والنباتية، بذواتها وصفاتها وعلاقاتها ومنتهاها، وفيوض الله تعالى عليها من محسوسات ومعقولات معلومة، والتي هي فوق علم البشر في عالمي الغيب والشهادة، كلها آيات الله القرآنية الكونية تتكرر باليوم والموسم ولا يمكن حصرها، فهي تتكون من عناصر مادية ومعنوية.

فالكون الذي يستمد وجوده من الله تعالى، قال تعالى: (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)، ، وقال أيضا: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)، وأنه وما فيه خلق لغاية وهي خدمة الإنسان الذي خلق للعبادة الله فوجوده في هذه الأرض ليس عبثيا بل لحكمة يعلمها الله، أظهره من العدم وحفظه ودبر شؤونه.

لذلك بعث الله الأنبياء والرسل لإرشاد الناس إلى توحيده، وأوجب عليهم الاهتمام به لكونه المحيط الذي يأويهم، فارتبط بهم، وفهموا الحياة من خلاله، بعد اكتشاف وحدة المنطق العقلي العام، الذي تنتظم وفقه الطبيعة والمجتمع والحياة، وتتم العناية بالمفهوم البعدي للكون من خلال قراءة مكوناته وفهم العلاقة بين أجزائه وفق مراد التنزيل والعمل بمقتضاه على أنه حقائق ثابتة يوافقها ويؤكدها العلم المعاصر، كظاهرة الطفو لأرخميدس التي تعبر عن العلاقة بين الأجسام والماء، لكن الفكر البشري بتدبره العقلي في فهم الواقع عجز عن الإجابة عن الأسئلة الغائية النظرية فجاء الدين للرد عنها بالعقيدة محافظا على كليات الدين الخمس.

يعتبر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من مجددي القرن العشرين حيث عُني بإثبات وحدانية الله تعالى وخلقه للكون من عدم، مستدلا بالآيات الكونية القرآنية والأحاديث النبوية على صحة الرؤية الكونية الإسلامية، من خلال مؤلفاته العديدة وإن لم يفرد الموضوع بدراسة خاصة.

المبحث الأول: الرؤية الكونية لله عز وجل عند الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: وجود الخالق عز وجل.

الفرع الأول: الفلاسفة والعلماء يبرهنون على وجوده تعالى.

الفرع الثاني: أدلة وجوده تعالى.

المطلب الثاني: وحدانية الخالق عز وجل.

الفرع الأول: نفي الشرك.

الفرع الثاني: نفي عبادة الأوثان.

الفرع الثالث: نفي أن يكون لله الأبناء.

الفرع الرابع: نفي أن يعبد الله بأي واسطة.

المطلب الثالث: كمال الخالق عز وجل وتنزيهه.

الفرع الأول: حاجة العالم إلى الله.

الفرع الثاني: ليس كمثله شيء.

الفرع الثالث: الغنى المطلق.

الفرع الرابع: الأول ليس قبله شيء.

الفرع الخامس: هو الآخر ليس بعده شيء.

ملخص:

المبحث الأول: الرؤية الكونية لله عز وجل عند الشيخ محمد الغزالي.

التوحيد هو المحور الأول من المحاور التي دارت عليها سور القرآن الكريم، كان الناس قديما يعرفون الألوهية معرفة ناقصة أو مشوهة فكانوا يضمون إلى عبادة الله عبادة آلهة أخرى من صنع أنفسهم، وكان تعصبهم لهذا الآلهة المختلفة تعصبا شديداً، وربما كان حظها من الإقبال والخشية أكثر من حظ الإله الحق.

ولم تتوقف دعوة الرسل للتوحيد عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وإرشادهم لإفراد الله بالعبودية، وتجنب الوثنية، فقوبلوا بحرب شعواء، عبرت عنها مواقف عديدة لتلك الاقوام، كقوم هود عليه السلام؛ قال تعالى: (**أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر، ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**)، [1] وهكذا فعلت سائر الأمم مع أنبيائها، وإلى جانب الشرك وجدت فئات ملحدة تنكر مبدأ الألوهية من الأساس وتظن أن الحياة وجدت صدفة من دون حكم وهدف، [2] كان هذا الأمر في القديم، ولازال مستمرا إلى اليوم؛ والسؤال المطروح: فماذا كان دور الشيخ محمد الغزالي بإزاء هؤلاء وأولئك حسب النظرة الكونية الإسلامية؟

المطلب الأول: وجود الخالق عز وجل.

يرى الشيخ محمد الغزالي أن هذا الكون لم يأتي هكذا عشوائيا، أو وجد بالصدفة كما يقول الملاحدة الذين يستندون إلى أن ما يحدث في الكون هو فعل الطبيعة أو الصدفة، فنشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة التي يحكم العقل باستحالة وجودها جزافا، فمثلا حين ننظر الى الدقة التي خلق بها الكائنات، بحيث أن الأرض مثلا توجد على مسافة معينة محددة، ولو نقصت أو ازداد قربها إلى الشمس لاحترقت

1- سورة الأعراف، الآية 70.

2- محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، دط، دت، ص21.

أنواع الأحياء من نبات وحيوان، ولو بعدت المسافة لعمّ الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك الزرع والضرع؛ فهل إقامتها في مكانها ذلك لتنعم بحرارة مناسبة جاءت عشوائيا؟

ومثال آخر عن ابداع الخلق ودقته صنعه نجد أن حركة المد والجزر: التي ترتبط بالقمر، إذ لو يقترب القمر من الارض أكثر مما هو عليه، لسحب أمواج المحيطات سحبا يغطى بها وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها، وقد تلاشى كل شيء فمن أقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك.

ويضرب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى أبسط مثال على نفي فكرة أن العالم وجد صدفة حيث قال: "إني أحيانا أسرح الطرف في زهرة مخططة بعشرات الألوان ألتقطها بأصبع عابثة من بين مئات الأزهار الطالعة في إحدى الحدائق ثم أسأل نفسي: بأي ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف وحدها، إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التي تبدو هنا مخففة وهنا مظللة وهنا مخططة وهنا منقطة[1].

وأنظر إلى أسفل التراب الأعفر؛ مصدر هذه الألوان، إنه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها، فهل الصدفة هي التي أشرفت على ذلك ؟ أي صدفة ؟ إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو[2].

وبهذا المنهج القائم على النظر والتدبر في النفس والآفاق يستدل –الإمام محمد الغزالي– على أن هنالك منظم لهذا العالم؛ هو الذي خلقه، وهو منشئ كل ما نراه ؛إنه: الله سبحانه، وهذا ما أكدته الابحاث العلمية المستقلة، والباحثون وعلماء الطبيعة الموضوعيين من علماء الذرة والفلك، وعلم الأحياء البيولوجية والرياضية، حيث أكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لا حد له[3].

الفرع الأول: الفلاسفة والعلماء يبرهنون على وجوده تعالى:

1 – محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ط4، دار نهضة، مصر، 2005م، ص17.

2– مرجع سابق، ص17.

3– مرجع سابق، ص26.

معرفة الله تعالى فطرة مركوزه في كل نفس وطبع، واسمه الكريم معروف في كل لغة مع اختلاف الأجناس والألسنة، لم يصرف الأفئدة والأفكار عن هذه الحقيقة الواحدة، بيد أن هذه المعرفة المتصلة برب العالمين لم تأخذ امتدادها الكامل وسماتها الراشدة، إلا عندما تتلقاها الناس مصفاة من ينابيع الوحي، وسمعوا آياتها تتلى من أفواه الأنبياء الكرام عليهم السلام، ولكن ذلك لم يمنع الكثير ممن لم يدخلوا في نطاق الرسالات الأولى، أو لم تبلغهم هدايات القرآن الكريم أن يفكروا في الله تعالى من تلقاء أنفسهم وأن يطلقوا لعقولهم عنان البحث، والفلسفة الإلهية حافلة بالكثير من هذه الأفكار، كما أن علماء الكون في العصر الأخير قد تكملوا عن الله في حدود ما هداهم إليه البحث المجرد في آفاق الطبيعة وأسرارها وقوانينها نذكر منهم:

الفيلسوف "هرشل" من فلاسفة القرن الثامن عشر: (إنه كلما اتسع نطاق العلوم تحققت وكثرة الأدلة على وجود حكمة خالقة قادرة مطلقة وعلماء الأرضيات والهيئة والطبيعيات والرياضية يهيئون بمساعيهم واكتشافاتهم كل ما يلزم لإنشاء معبد العلوم إعلاء لكلمة الخالق).[1]

ما دُوَن من آراء لسقراط[2] عن تلميذه أفلاطون قوله أن: (هذا العالم يظهر لنا على هذا النحو الذي لم يترك فيه شيء للمصادفة بل كل جزء من أجزائه متجه نحو غاية، وتلك الغاية متجهة إلى غاية أعلى منها وهكذا يتم الوصول إلى غاية نهائية منفردة وحيدة).

من أين نشأ هذا النظام الكامل في تفرعاته المحفوف بالعظمة والجلال من نواحيه كافة؟ ليس من الممكن أن يحمل ذلك على المصادفة، فلو أمننا أن نقول: إنه نشأ من تلقاء نفسه لصح لنا أن نقول: إن ألواح (بوليكلت)، و(زونكريس) حدثت من تلقاء نفسها.

1 – محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص20.

2 – سقراط: أحد فلاسفة اليونان وحكمائها مؤسس الفلسفة الغربية، تلميذه أفلاطون، توفي في: 399م.

إذا ما نظرنا إلى أن العناصر التي تحتوى عليها الكائنات كثيرة إلى درجة لا يمكن أن يحصرها العقل، كان من المحال أن نحمل وجود ذلك كله على المصادفة فلا بد إذن من وجود عقل أعلى هو الصانع الوحيد.

وقد شرح (لا بلاس) دليل الحركة الكونية وأبان قوة الدليل في حسم الشبهات التي يثيرها الجاحدون فقال: (أما القدرة الفاطرة فقد عنيت جسامة الأجرام الموجودة في المجموعة الشمسية وكثافتها وثبتت أقطار مداراتها، ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة، ولكنها حكيمة وعنيت مدة دوران السيارات حول الشمس والتوابع حول السيارة بأدق حساب، بحيث إن هذا النظام المستمر إلى ما شاء الله لا يعوره خلل)، هذا النظام المستند إلى حساب يقصر عقل الفرد عن إدراكه والذي يضمن استمرار المجموع إزاء ما لا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة، لا يمكن أن يحمل على المصادفات في نظر **لابلاش** إلا باحتمال واحد في أربع تريليونات.[1]

وقال سبنسر: (إننا مضطرون إلى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الإدراك، وأن الأديان كانت أول من قبل هذه الحقيقة العلوية ولقنها ولكنها نشرت أول الأمر ممزوجة بالأباطيل).

ويقول أينشتاين: (إن جوهر الشعور الديني في صميمه هو أن نعلم أن ذلك الذي لا سبيل لمعرفة كنه ذاته موجود حقا، ويتحلى بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال، وإنني لا أستطيع أن أتصور عالما حقا لا يدرك أن المبادئ الصحيحة لعالم الوجود مبنية على حكمة تجعلنا مفهومه عند العقل فالعالم بلا إيمان يمشي مشية الأعرج والإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى).[2]

1- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص19-20.

2- مرجع سابق، ص21.

فالفلاسفة الموضوعيون في دراساتهم وابحاثهم يقرون بوجود الخالق نتيجة مسلمة لكل تفكير سليم قائم على بديهيات العقول، التي يوكدها الشرع ، وهو ما بينه الغزالي ونجزه فيما الفرع الآتي.

الفرع الثاني: أدلة وجوده تعالى.

فيؤكد الإمام محمد الغزالي على أن وجود الله تعالى من البديهيات التي يدركها الإنسان بفطرته ويهتدى إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة ولا من حقائق التفكير العويصة، وهذه بعض الأدلة التي تنبه العقل الغافل وتجعله يبصر الحقيقة حيث قال: "الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقها، ولا الماء التي يعيش تحتها، ومن المقطوع به أن شيئا لا تحدث من تلقاء نفسه فلم يبق إلا الله، وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1] ، ولقد لفت أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع الساذج الذي يحيون فيه بقوله الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[2] ويسمى هذا الدليل: **دليل الإبداع.**

لو دخل المرء دارا فوجد بها غرفة مهيأة للطعام وأخرى للمنام وأخرى للنظافة وأخرى للضيافة ...إلخ، لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده وأن هذا الإعداد النافع لابد أنه قد نشأ عن تقدير وحكمة، أشرف عليها فاعل يعرف ما يفعل، والناظر في الكون وآفاقه والمادة وخصائصها، يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والطب بطريقة أبعد كل شبهة توهم أن هذا الكون قد وجد كيفما اتفق، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ

1- سورة الطور: الآية 36-35.

2- سورة الغاشية: الآية 20-17.

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ [1]، ويسمى هذا الدليل: **دليل العناية**.

هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة أعنى هذه الكواكب التي تخترق أعماق الجو، والتي تلتزم مدار واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا من الذي هيمن على نظامها، وأشر على مدارها بل من الذى أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة ؟ إنها لا ترتكز في علومها إلا على دعائم القدرة قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ .[2] ويسمى هذا الدليل **دليل الحركة**.[3]

فيتضح أن معرفة الله تعالى هي أعظم المعارف وأجلها والأساس الذي تنبني عليه الحياة الروحية الصحيحة، ووجود الله عز وجل تشهد به الفطرة الإنسانية الرشيدة، والأدلة الكثيرة والمتنوعة.

المطلب الثاني: وحدانية الله سبحانه وتعالى.

بعد أن أتم الله عز وجل خلق الكون والإنسان، لم يجعل وجوده يحتمل الرد والإنكار والقيل والقال، وجعل آيات عديدة تقوده إليه سبحانه وتعالى، من بينها: الفطرة الإنسانية؛ فالأنسان يولد على فطرة التوحيد مؤمن بالله تعالى، ومقرا بأنه الخالق، وأنه الإله الواحد لا شريك له، لكن طرأت على هاته الفطرة عدت عوامل منها البيئة الفاسدة، القائمة على تقليد الآباء، واغواء الشياطين .. وغيرها من العوامل، مما أدى إلى ظهور جماعات من الناس والفرق التي جعلت لله شركاء؛ منهم من جعل له أبناء وبنات، ومنهم من اتخذ من الأوثان والحيوانات آلهة.

1- سورة الفرقان: الآية 61-62.

2- سورة فاطر: الآية 41.

3- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص15.

وأما بالنسبة للديانات السماوية فقد حرفت وبدلت، ويرى الشيخ محمد الغزالي أن الإسلام وحده الباقي على التوحيد الخالص، من خلال نفي جميع مظاهر الشرك بالله تعالى؛ نذكر منها:

الفرع الأول: نفي الشرك.

قام العلماء ببحوث جدلية ليثبتوا أنه ليس مع الله إله آخر، وإن كان الواقع العلمي ينطق بذلك، فنحن في عالمنا المادي لم نجد هذا الآخر المزعوم –وراء المادة– والمرسلون جميعا عليهم السلام أكدوا أنهم جاءوا من عند الله رب العالمين، قال سبحانه في محكم تنزيله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ .[1]

وذكر العلماء جملة الفروض لنفي التعدد في الألوهية، فهي تؤكد على جملة من الحقائق، إذ لو كان هذا الإله موجودا مع الله، فما موقفه منه؟ وما منزلته منه؟ إن كان دونه منزلة ومكانة: فليس بإله، وإن كان أعلى منه: فهو أحق منه بالألوهية، وإن كان مثله: فما الحدود والفواصل بين عالميهما؟ واختصاصهما، وكيف ينفذ أمرهما معا في الإحياء والإماتة والاشقاء والإسعاد وغير ذلك، قال سبحانه:﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾[2] وقال أيضا: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾[3].

وبعض الدهماء من اليهود والنصارى ضلوا في فهم أنبيائهم ورفعوهم إلى مصاف (الآلهة) مع أن هؤلاء المرسلين ليسوا إلا عبيدا موهوبين، فمن الحماقة أن تظن في بشر مهما علا شأنه أنه خلق كوكبا من الكواكب، ولماذا نذهب بعيداً؟ إن أحدهم لم يخلق ذبابة أو ما دونها، فكيف يعد إلهاً من يعجز عن خلق أبسط شيء موجود[4].

1- سورة الأنبياء: الآية 25.

2- سورة المؤمنون: الآية 91.

3- سورة الأنبياء: الآية 22.

4- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص51.

الفرع الثاني: نفي عبادة الأوثان.

يؤكد الشيخ محمد الغزالي في رؤيته الكونية أن الله واحد لا شريك له، وأنه بالاستقراء لما توهمه الناس من وجود الشريك لله في ألوهيته، لم نجد أحدا من هؤلاء الشركاء المزعومين ترشحه حالته ليكون في هذا الوجود شيئا طائلا، لقد عبد القدماء أحجارا اقتطعوها من سطح الأرض، فهل يصح في خلد عاقل أن حجرا من الأرض، بل الأرض كلها تصلح أن تكون إلها؟ وعبد آخرون أصنافا من الحيوان وقدسوا نسله كما يفعل الهندوس إلى اليوم، فهل هناك عجل مهما زاد لحمه وشحمه يصلح لمنصب الألوهية؟ فما الذي يوضع بعده في أطباق الآكلين[1].

وبين الله عز وجل سفه المشركين بأقدار الآلهة التي عبدوها من دونه، فمرد هذه المعبودات المظلومة بين صنفين:

إما أن تكون: من جمادات فالعبيد أوسع قدرة من هذه الآلهة لأن لهم جوارح يستخدمونها فيما يشاءون، أما هذه الأصنام المعبودة فماذا لها؟ قال تعالى:﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [2]، والحقيقة البينة أن ليس لها من ذلك شيء.

وإما أن تكون: هذه الآلهة المزعومة تملك ما ذكر من أدوات ومشاعر فماذا يمنحها ذلك من فضل؟ سيكون الآلهة والعبيد سواء في القوى الذاتية والمنزلة الكونية، فأي ألوهية تلك؟ قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[3]، لذلك فإن من النقائص أن تتعلق النفس

1- مرجع سابق، ص51 .

2- سورة الأعراف: الآية 195.

3- سورة الأعراف: الآية 194.

البشرية بهذه الأوهام والأباطيل، وقد تعدد هذا البيان في القرآن الكريم؛ من ضرب الأمثال وسوق الأدلة تارة، واستثارة الانتباه واستنهاض الكرامة الآدمية تارة أخرى؛ حتى تقوم من هذه الوهدة التي تذل فيها لمن هو دونها أو لمن هو مثلها.

وأفاض القرآن الكريم في استقصائه للمعاني التي تصون العبد من دنس الشرك، في مخاطبة العاطفة بأسلوب رائع في رقته، وواضح في غايته، من ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾[1] ، وقال تعالى أيضا :﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩ ﴾[2].

الفرع الثالث: نفي أن يكون لله الأبناء.

نجد في القرآن الكريم نفي الأوهام العالقة بأذهان الجاهلين عن حقيقة الألوهية، وهي أوهام لا سند لها من العقل المجرد؛ ولا من الوحى المنزل، لقد احدثها القاصرون دون وعي، وقبلها المقصرون دون نقد، ثم شاعت بين الجماهير على أنها عقائد دينية، وهي ليست إلا خرافات خابطين، وظنون مقلدين، فادعى البعض أن لله بنات يشاركنه الألوهية، وعند البعض الآخر أنه أنجب ابنا أو بنات آلهة،[3] قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ

1- سورة يوسف: الآية 39.

2- سورة الزمر: الآية 29.

3- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ط6، دار النهضة، مصر، 2003م، ص63.

عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾.[1]

الفرع الرابع: نفي أن يعبد الله بأي واسطة.

لم يكن للمشركين تبرير شرودهم بأنهم لم يذهبوا بعيدا في عبوديتهم، وبأن أولئك الذين اتجهوا إليهم من دون الله؛ إنما هم مفاتيح للإله الأكبر؛ لتوصلهم إليه، وقالوا ما نستطيع أن ننسب إلى حجر أو بشر خلقا أو رزقا، ولا أن نجحد تفرد الله بهذا العمل، ولكننا اتخذنا بناته وبنيه وسطاء خير له، قال الله تعالى :﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[2] ، فليس بين الله وبين عباده وسطاء ولا شفعاء وكل البشر عليه أن يتقدم بسؤاله مباشرة[3].

ما يمكن أن نستخلصه أن ليس في الرؤية الكونية من خلال القرآن الكريم –عند الشيخ محمد الغزالي– مع الله سبحانه مثيل، ولا شبيه، ولا شريك؛ بل من المستحيل أن يكون لله شريك، بحيث يكون لنا مكان الواحد عدة آلهة لأن الصفات من قبيل التثنية والتثليث وما شابه، إنما هي من خواص الموجودات المحدودة والنسبية، ولا معنى إطلاقا للتعدد والكثرة في حق الموجود اللامحدود، فهو سبحانه المتصف بالإطلاق، والمحيط بكل الأشياء، ولا يخلو منه مكان ولا زمان، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ويستحيل في حقه أن يكون له مثل أو نظير.

1- سورة الأنعام: الآية 100-102.

2- سورة الزمر: الآية 3.

3- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص60.

المطلب الثالث: كمال الله وتنزيهه.

تقوم الرؤية الكونية على الإيمان بكمال الله تعالى في صفاته، واطلاقها فيما لا نهاية لها، فهو الخالق الذي يستحق العبادة المخلصة له من دون كل الموجود، فهو أهلُ الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة لا نحصى عليه ثناء ولا نبلغ حقه؛ توقيرا وإجلالا.

لو أن البشر جميعا منذ كتب لهم التاريخ وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة، نسوا الله وكفروا به ما خدش ذلك شيئا من جلاله، ولا نقص ذرة من سلطانه، ولا كف شعاعا من ضيائه، ولا غض بريقا من كبريائه، فهو سبحانه أغنى بحوله وأعظم بذاته وصفاته، وأوسع في ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهْم واهم أو جهل جاهل[1].

الفرع الأول: حاجة العالم إلى الله عز وجل.

إن العالم في وجوده احتاج إلى ربه، كما يحتاج إليه في بقائه لحظة بعد لحظة، ولا توجد ذرة في الأرض ولا في السماء تستمد وجودها من ذواتها، حتى يتصور استغناؤها بنفسها، لن يكون نهار إلا مع الشمس ولن يكون عالم إلا مع وجود الله قال سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [2] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [3].

1- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مصدر سابق، ص11.

2- سورة النحل: الآية 60.

3- سورة فاطر: الآية 15-18.

فالعقول وما يتردد فيها من أفكار، والقلوب وما يتجدد فيها من مشاعر، والأجسام وما يتدفق فيها من دماء وما يتحرك فيها من أجهزة وعضلات في كل بلد، بل في كل قارة منذ بدء الخلق وإلى قيام الساعة، ما نعرف وما لا نعرف إنما يقوم على وجود الله تعالى قيوم السموات والأرض، ولو شاء تركه لحظة لزال ولأصبحنا ولما وجدنا وقتا نفكر فيه بأننا فنينا، لأننا سنكون فنينا فعلا.

والفارق بين وجونا ووجود الله أن الله تبارك وتعالى وجوده واجب له من ذاته، أما نحن فليس لنا من ذواتنا شيء قط، فإنْ مُنِحْنَا نعمة الوجود بقينا ما بقيت مُعارة لنا وإلا اختفينا فلم يمسكنا شيء[1]، ومن هنا نعرف أن لله صفات كثيرة توضح معالم كماله نذكر منها ما يلي:

الفرع الثاني: ليس كمثله شيء.

قد وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة من الصعب إدراك حقيقتها على النحو الذى ندرك به أمورنا المعتادة، فنجد مثلا إن النملة لا تعرف حقيقة الإنسان في حدود عالمها الذي تعيش فيه تقفهه دون ذلك، أو الطفل في المرحلة الأولى من عمره لا يعرف ما للرجولة ولا ما يصحبها من سعة عقل وإدراك، بل إن الإنسان عاجز حتى الآن عن إدراك حقيقة الوجود المادي الذى يعيش فيه، فكيف يعرفون ما وراءه من غيوب.

فإن قيل لك إن الله يسمع فليس بذلك أن له أذن كأذن الإنسان، أو قيل أنه يرى فليس بذلك أن له عين كأعين الإنسان، وإذا قيل أن الله بنى السماء فليس على النحو المألوف في حياتنا باستخدام أدوات البناء، فشأن الألوهية أسمى مما تتصوره أذهان البشر والعقول القصر[2] ، قال الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ

1- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مصدر سابق، ص34-35.

2 - محمد الغزالي، مصدر سابق، ص36-38.

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.[1]

وعلى ذلك فكل ما قطعنا بثبوته في كتاب الله وسنة رسوله مما وصف به نفسه وأسنده إلى ذاته قبلناه على العين والرأس لا نتعسف له تأويلا، ولا نقصد به تجسيما، ولا تشبيها.

والذات الإلهية ليست ذاتا مبهمة مجهلة كما أنها ليست محدودة مجسدة، هي ذات لا كالذوات التي يراها الحس أو يتخيلها الوهم، لأنها لو وقعت في دائرة الخيال مهما امتد واتسع كانت بهذا المعنى محدودة ومقيدة ...

وذات الله مع أنه فوق أن تدرك وفوق أن تحد قد وصفت في القرآن بصفات كثيرة كالإرادة والقدرة والحكمة والحياة والسمع والبصر والغني والكلام والقدر ... وغيرها من الصفات وهي صفات كمال المطلق.

مع هذا فلابد ألا تضاف إلى ذاته كما تضاف هذه الصفات إلى ذواتنا مع الفارق البعيد في كمالها في ذات الإله، ونقصها في ذات الإنسان، وجاء في القرآن الكريم كثير من هذه الآيات التي تضيف إلى صفات عاملة في الوجود كقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [2] ففي الآيات تعريف بذات الله، وأنه الخالق العليم، الذي تفضل على عباده بالخلق والتعليم، كقوله سبحانه:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

1- سورة آل عمران: الآية 7.

2- سورة العلق: الآية 1-5.

ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى مريد وبإرادته تتعلق مصاير الأمور، وكقوله جل شأنه:﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [2]، فالله تعالى متصف بكل صفات الكمال المطلق،[3] قال فيه أيضا :﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾[4].

الفرع الثالث: الغنى المُطلق.

من صفات الله سبحانه وتعالى أنه واسع الغنى، وليست سعة غناه راجعة إلى هذا العالم بمساواته وأرضه وما حوى من معادن نفسية وعناصر غالية، لا لأنه لا يملك عددا لا يحصى من الجن والإنس والملائكة، لا، لا ، لا فالغنى أعظم من ذلك وأمجد، إننا قد نعتبر الرجل غنيا لأنه يملك القناطير من الذهب والفضة، أو لأنه يحكم الألوف المؤلفة من الناس، فإذا فقد ذلك لم يصح على شيء من الغنى إذا انهارت الدعائم التي يقوم عليها، وقد يكون الملكوت الواجب الذي نعرف أقله، ونجهل أكثره مظهرا للغنى الإلهي العظيم.

لكن الله عزو جل يستطيع أن يفني ذلك أجمع ولا ينقص غناه المطلق شيء البتة، ويبقى قائما بنفسه مستغنيا عن خلقه، ومستكملا نعوت قداسته، ومستعليا في أنوار جلالته، وقد جاء في الأحاديث القدسية: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا

1- سورة البقرة: الآية 185.

2- سورة الرعد: الآية 9-8.

3- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مصدر السابق، ص48.

4- سورة الروم: الآية 27.

على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا).

الفرع الرابع: الأول ليس قبله شيء.

وجود الله سبحانه وتعالى ممتد في القدم بحيث لا يتصور قبله وجود قط، وما دام كل وجود قد نشأ عنه، فالله تعالى أسبق منه، ونحن لا نعرف عن الأول شيئا إذا عهدنا بالوجود قد حدث بعد ميلادنا، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك فنزل، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [1] ، لأنه ليس شيء يولد إلا وسيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، إن الله تعالى لا يموت ولا يورث، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [2] ، أي لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء[3].

الفرع الخامس: هو الآخر ليس بعده شيء.

الله جل جلاله متصف بالبقاء أبدا، فهو ليس جسما كي يموت، ولا مادة فتتحل وتذوي، إنه الدائم الذي يصير إليه كل شيء، قال تعالى:﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ [4] قال تعالى:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [5] إن وجود الله عز وجل واجب له من ذاته لا ينفك عنه أبدا، أما ما عداه فهو صفر إن لم تدركه نعمة الوجود المفاضة عليه من الخالق جل علاه[6].

1- سورة الإخلاص: الآية 1-3.

2- سورة الإخلاص: الآية 4.

3- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص31.

4- سورة القصص: الآية 88.

5- سورة الفرقان: الآية 58.

6-محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص33.

المبحث الثاني: ملامح الرؤية الكونية للإنسان عند الشيخ محمد الغزالي.

المطلب الأول: مبدأ الخلق.

الفرع الأول: بداية الوجود الإنساني بين نظرية التطور والأبحاث العلمية المعاصرة.

الفرع الثاني: بداية الوجود الإنساني عند الشيخ الغزالي.

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان.

الفرع الأول: مكانة وقيمة الإنسان.

الفرع الثاني: الخلق حسن التقويم.

المطلب الثالث: وظيفة الإنسان.

الفرع الأول: عبوديته لله عز وجل.

الفرع الثاني: الاستخلاف.

المطلب الرابع: مصير الإنسان.

الفرع الأول: الموت.

الفرع الثاني: البعث.

ملخص:

المبحث الثاني: ملامح الرؤية الكونية للإنسان عند الشيخ محمد الغزالي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [1].

إنَّ الإنسان هو ذلك الكائن الحي الذي اجتمعت فيه القوى الجسمانية والقوى الروحانية هو الكائن الغريب المتميز عن سائر المخلوقات، فهو غريب متميز في تكوينه، وعلاقته وفي سلوكياته وحضارته، ثم إنه الكائن الوحيد الذي أسماه الله تعالى بوظيفته ومهمته في الوجود قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

فالإنسان يعيش في هذه الأرض معززا ومكرما بالخيرات ونعيمها، مميزا عن غيره من الكائنات بالعقل، الذي جعله يتسأل نفسه عن أصله؟ وعن غاية وجوه ؟ وإلى أين مصيره؟ ورغم محاولته الإجابة على هذه الأسئلة إلا أن تلك الإجابات تبقى نسبية لا تحتمل اليقين لن يتمكن الأنسان من على الأجوبة التي تريح قلبه وتقنع عقله إلا في ظل الرؤية الكونية الإسلامي التي تستمد مصدرها القرآن الكريم الذي لا يأتيه من بين يديه وخلفه مجيب على تساؤلاتهم ؟ عن أصله ؟ عن وظيفته وغايته ؟ وعن مصيره المحتوم ؟

المطلب الأول: مبدأ الخلق.

يرى الشيخ محمد الغزالي أن القرآن الكريم يوضح كل شيء عن بداية آدم وذريته، فمن جهة الأصل هم من تراب، فقيمة الإنسان المادية مشابة لقيمة أغلب الأحياء من

1 - سورة المؤمنون: الآية 84-89.

2- سورة العنكبوت : الآية 20.

الكائنات حيث قوله سبحانه:﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾[1] فالأنسان لم يستمد أي كرامة من البداية الأولى، إنما الكرامة تميزت في المرحلة الثانية حيث نفخ الله فيه من روحه ثم خلقه في أبهى وأحسن صورة، قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾[2]

بهذه النفخة جعله كائن جديدا يعلوا وتسموا مكانته بين الخلائق، وأخضع إليه المخلوقات الأخرى، وبعد أن تم خلق آدم على هذه الصورة أمر الله الملائكة أن تسجد تعظيما وتوقيرا لا سجود عبادة، وقد أبدت الملائكة دهشتها لإيجاد هذا الإنسان، حيث قال الشيخ محمد الغزالي "والنظرة الأولى في خلق آدم وبنيه كما ذكرها القرآن الكريم توضح كل شيء في هذه الرسالة لقد بدأ هذا الخلق من تراب الأرض وحدها والبشر جميعا في هذه المرحلة من وجوهم ليس لهم فضل يمتازون به أو يعلى مكانتهم على غيرهم من الكائنات تساوي حفن التراب، بل أن القرآن الكريم وصفهم في هذه المرحلة بما يدل على تفاهة الشأن قال الله سبحانه واصفا إياهم: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الأنسان من طين ثم جعل نسله من سلسلة من ماء مهين)، فتلك المرحلة في تاريخ الوجود الإنساني لا يستمد الإنسان منها أي كرامة.

وإنما يستمد هذه الكرامة من الطور الآخر الذى يقول الله فيه للملائكة:﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾[3] في هذه النفخة من روح الله سرت في كيان الإنسان الخصائص التي استحق بها أن يسمو ويمجد وأن تخضع له صنوف الخلائق الأخرى، فقبل نفخ الروح في آدم وذريته ما استحقوا سجودا ولا تكريما، فإن الملائكة

1- سورة السجدة: الآية 7-8.

2- سورة السجدة: الآية 9.

3- سورة الحجر: الآية 29.

ومن دونهم لا يكلفون بالسجود لسلالة من التراب تافهة القيمة"، [1] فأصل الأنسان أصله شريف حيث خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، فكان خلقه في أحسن تقويم.

الفرع الأول: بداية الوجود الإنساني بين نظرية التطور والأبحاث العلمية المعاصرة.

حتى يكتمل تصور حقيقة الخلق المباشر للإنسان لا بد من عرض مقولة التطور والارتقاء في ضوء التطور العلمي المعاصر، فكيف كانت بداية وجود الإنسان بناء على هذه المقولة؟ وما حقيقته؟

لقد كتب أحد الباحثين قائلا: الإنسان هو نتاج تاريخ طويل بدأ منذ ثلاث مليارات سنة عندما ظهرت على الأرض الأشكال الأولى للحياة متمثلة في كائنات مجهرية غير مميزة...والتطور هو الذي جعل الكائنات الحية مشتقة من بعضها البعض بناء على قوانين بدأنا نعرفها أكثر، وذلك في خط متصل من الخلية الأولى ووصولا إلينا، فكل الحيوانات الحية تنحدر من حيوانات أخرى عاشت مدة طويلة نسبيا، ولم يحدث أي كائن حي بنفسه فنحن مدينين بعض الشيء لدودة الأرض، والجعل[2] والكلكنتا.[3]

فالإنسان إذا ككل الأحياء هو نتاج التطور ...ولكنه آخر حلقة، والمرحلة الأكثر تعقيدا في تسلسل الثلاث مليارات سنة، [4] والتطور كما عرفه دارون : هو "أسلوب في نشوء الموجودات الحية يقوم على الترقي في أشكال الحياة ترقيا يؤدي إلى إنتاج أنواع حية أكثر تعقيدا من سابقتها، كلها يرجع إلى أصل واحد كما أنه ينطوي على فكرتي التباين أو التنوع والتكامل، ويقوم على قانوني الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي عن طريق الصراع من أجل البقاء للأصلح والأقدر على التكيف. فالكائنات الحية كلها كثيرة التغير وعديدة الضروب والتنوع والاختلاف وحالات الحياة المتغايرة هذه والاختلاف بين الأفراد من أكبر

1- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط4، مصر، دار نهضة، 2003م، ص88-87.

2- scarabee الجعل جنس من الخنافس يكثر في المواضع الندية.

3- le coclacantbe الكلكنتا :نوع من الأسماك القديمة جدا اكتشفت عام 1935م.

4 – تشارلز داروين، أصل الأنواع نظرية النشوء والارتقاء، ترجمة :إسماعيل مظهر، ن : دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع د- ط، ج2، ص263، وراجع 149,257.

مقومات التحول، وهي المقصود الأول للتطور حيث يتغير الحيوان بما يلاءم المحيط البيئي الذي نعيش فيه، وهذا التغير لا يشمل الأعضاء فقط بل الصبغيات الوراثية للكائنات كما يرى العلماء المعاصرون، والسجلات الجيولوجية والتحولات الوراثية واللذان يوليهما التطورين أهمية كبرى.

الفرع الثاني: بداية الوجود الإنساني عند الشيخ الغزالي.

نقد الشيخ محمد الغزالي نظرية التطور، وقال: إن الخلق يا أولي الألباب وظيفة لها مؤهلات، إن إيجاد شيء من عدم أو من غير عدم يقتضي أوصافا معينة لا بد منها، وهم يتصورون أن العالم المنسق الرتيب قد كونته مادة لا روح لها ولا وعي، ويواصل الشيخ محمد الغزالي: قال لي أحد هؤلاء: أتنكر نظرية التطور ؟؟ فقلت له: لنفرض جدلا أن نظرية التطور أضحت حقيقة علمية ثابتة، وليست نظرية يمكن أن يعدل العلماء عنها إلى تفسير أصدق لأصل الأنواع فماذا تفيده تلك النظرية؟ هب أن الإنسان كان أولا "أمبيا" ثم ارتقى حتى أصبح كما هو الآن، أفمعنى ذلك أنه لا إله؟ كلا إن الزعم بأن هذا التطور يتم من تلقاء نفسه لأن بالأشياء خصائص تجعلها تتدحرج من فوق إلى تحت أو تتدحرج من تحت إلى فوق، هكذا من غير مؤثر خارجي، زعم فارغ من العلم والمنطلق !!.[1]

إذن من الذي خلق هذا الحيوان وجعل في كيانه الدقيق مشروع بناء إنسان؟ ليس إلا الله !! ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾،[2] إن هذا الخالق الكبير يحكم الأسباب ولا تحكمه الأسباب، وهو مستطيع أن يخلق البشر بوسائط أخرى غير ما يعرف في النشأة الأولى.

ويستشهد الشيخ الغزالي رحمه الله بالقرآن الكريم على أطوار خلق الإنسان، وذلك في قوله الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ،

1 – الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، النهضة، مصر، ص43.

2– سورة الواقعة: الآية 58-59.

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.[1]

وقول المولى عز وجل:﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾.[2] والإنسان بهذه النفحة كائن جديد يعلو فوق ما يشبهه من ضروب الحيوان، ولذلك قال جل شأنه: ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.[3] إن أول ما خلق الله آدم عليه السلام كان على هذه الصورة، ثم أمر الله الملائكة أن تسجد له سجود تعظيم وتوقير لا سجود عبادة، والقرآن الكريم يلح في طلب النظر، واستقصاء الفكر في هذا الوجود لمعرفة البدء والعودة! إننا موجودون يقينا فكيف وجدنا؟ والمتأمل في النشأة الأولى يدرك سهولة النشأة الآخرة.[4] قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.[5]

قال جل جلاله:﴿وهو الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه﴾ [6]، وليس عند الله سهل وصعب وهين وأهون، ولذلك أتبع هذا التنزل بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [7] وقد تكرر هذا الدليل في سور كثيرة، وهو شأن بديهي لا يرده إلا مكبد بليد !﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا

1- سورة المؤمنون: الآية 12-14.

2 - سورة السجدة: الآية 7-9.

3- سورة المؤمنون: الآية 14.

4- الشيخ محمد الغزالي، المحاور الخمسة، ص151.

5- سورة العنكبوت: الآية 20-21.

6 - سورة الروم: الآية 27.

7 - - سورة الروم: الآية 27.

وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان.

ويرى أيضا الشيخ محمد الغزالي أن النزاع الأبدي بين الانسان والحياة على أساسين هم تكوينه الحيواني الرابض في دم الأنسان، يتحرك بنزعات القسوة والأثر وحدها، أم الجانب الأخر هو تكوينه للقلب الإنساني المتطلع إلى الكمال والسلام والحب والإثار، وقد حملنا نحن المسلمين حضارة أعلت قدر الأنسان ولفتت نظره إلى ملكوت السموات والأرض الممهد له قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[2] هذا التسخير لآفاق السماء وفجاج الأرض وجعلها في خدمة الإنسان يتضمن إشارة بينه إلى أن الإنسان خلق ليكون سيدا لا ليكون مهانا وأن سجود الملأ الأعلى له في السموات معناه أن يحيا على ظهر هذه الأرض سيدا موفور الحرية، مدعوم المكانة، إذ وظيفته أن يخلف الله في أرضة ولكن لا يجوز عند انشغال الإنسان بأعباء العيش الأرضية أن ينسى حقوق الله ربه قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[3].

وقد وازن الإسلام في تعاليمه بين مطالب الجسد وبين مطالب الروح، وليس في الإسلام تغليب للجسد على الروح ولا للروح على الجسد؛ إنما فيه تنظيم دقيقة يجعل معنويات الإنسان هي التي تتولى قيادة وتمسك بزمامه فلا هو براهب يقتل نداء الطبيعة ويميت هواتف الفطرة ولا هو مادي يتجاهل سناء الروح وأشواقها إلى الرفعة والخلود، قال الشيخ محمد الغزالي: " إن الإسلام يلح على كل إنسان فوق الأرض ألا ينسى نسبه

1- سورة الإسراء: الآية51.

2- سورة لقمان: الآية 20.

3- سورة المؤمنون: الآية 115-116.

السماوي و ألا يتجاهل أصله المنبثق من روح الله، وللجسد حقوق مقدرة وقد قال الله في وصف أنبيائه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾[1] لكن توفير هذه الحقوق ليس إلا وسيلة لصيانة الفؤاد والفكر وحماية القلب والعقل ما شابه.

هذا الجسم بزجاجة المصباح الكهربائي إنها هي التي تصقل الضوء وتمد الشعاع، فلو انكسرت ذهب النور واحتبس التيار ومع ذلك فالمحافظة على هذه الزجاجة وتلميعها إزالة الغبار من فوقها شيء غير مقصود لذاته بل مقصود لينطلق الضوء من خلالها صافيا نقيا وقد أمر الإسلام بتطهير البدن وتزكية الروح فقال: (**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**) وطهارة الروح أساسها حسن الصلة بالله، وطهارة البدن بإزالة القذارة الذى لا تليق بمكانة إنسان كريم على الله".[2]

إن عبادة الجسد تمرد على الأساس الإلهي في الحياة وآفة الحضارة المادية أنها سخرت العقول للشهوات، و أخرست نداء الروح وأطلقت نداء الطين، وجحدت أن الإنسان نفخة من روح الله، ورأت أنه نشأ من الأرض فلا يجوز أن يرفع رأسه إلى أعلى، يذكر الله ولي نعمته، وسر عظمته، ونحن نؤكد أن شرف الإنسانية أولا وآخرا في صلتها بالله واستمدادها منه وتقيدها بشرائعه ووصاياه، والحرية الحقيقة ليست في حق الإنسان أن يتدنس إذا شاء ويرتفع إذا شاء، بل الحرية أن يخضع لقيود الكمال، وأن يتصرف داخل نطاقها وحده: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[3] .

إنه حق البشر في تأمين الوسائل التي يحيون بها حياة وليست حق امرئ ما في أن ينسلخ عن طبيعته أو يتمرد على فطرته، حيث قال الشيخ محمد الغزالي: " إن الحرية ليست حق الإنسان أن يتحول حيوانا إذا شاء أيجحد نسبه الروحي إلى رب العالمين أو يقترف من الأعمال ما يوهي بالسماء ويقوى صلته بالتراب، فإن الحرية بهذا المعنى لا تعدو قلب الحقائق وإبعاد الأمور عن مجراها العتيد، بل الوقع أنك لن تجد أعبد من رجل يدعي أنه حر فإذا

1- سورة الأنبياء: الآية 8.

2- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، مرجع سابق، ص 90.

3- سورة الأحزاب: الآية 32.

فتشت في نفسه وجدته ذليلا لشهواته كلها، ربما كان عبد بطنه أو فرجه وربما كان عبدا للمظاهر التي يرائي بها الناس، فإذا فقد بعض هذه الرغائب رأيته أتفه شيء ولو كان يلي أكبر المناصب، بل لو كان ملكا تدين له الرقاب والحرية المطلقة لا تنبع إلا من العبودية الصحيحة لله وحده"، ولذلك فنحن نكذب كل دعوة للحرية تزين للناس اعتداء حدود الله أو تعطيل أحكامه أو الهبوط بالإنسان عن المكانة السماوية التي رشح لها بأصل الخلقة.

كم يكون الإنسان نازل المرتبة تافه القيمة إذ كانت وظيفته في الحياة لا تتجاوز بضع عشرات من السنين يقضيها على ظهر الأرض، ثم يقضى دون عودة وينتهي بذلك أمره كما تنتهى آجال الذئاب في الغاب أو الشياه في الحقول، ألهذا خلق الإنسان و استخلفه الله في هذا العالم، قال الشيخ محمد الغزالي: "أن الله امتن على الأنسان بهذه المرتبة الرفيعة، لم يدعه في هذه الحياة وشأنه (أيحسب الإنسان أن يترك سدى)، كلا إن الله كما شرفه بالكثير من النعم كلفه العديد من الحقوق، وهي حقوق تدور في جملتا على رعاية مصالحة وضمان الخير له في عاجل أمره وآجله، و الإسلام كلمة الله الأخير في هذا المجال، وهو دين يحترم طبائع الأشياء لأنه دين الفطر، ولذلك يستحيل أن يتضمن حكما علميا أو اجتماعيا يناقض الحقائق المقررة، قال سبحانه: (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذير)".[1]

يقول "يوخنز":عميد العلماء الماديين في العصر الماضي :"إن الإنسان محصول المادة وليست له خاصية فكرية على النحو الذي يصور الروحانيون "ويقول ماضيا في إنكار الروح، مصورا العقل الإنساني بصورة مادية :"إن الكبد والكليتين تفرزان مادة مرئية دون أن نعلم نحن بذلك، ثم إنهم يقولون: "إن القوة لا تنفصل عن المادة،

هذه الصورة التي يقدمها الملحدون للإنسانية ومعنوياتها وهذه هي أدلتهم على إنكار ما وراء المادة، وعلى رفض الإيمان بالله العلي الكبير إنه من المقطوع به عقلا أن العدم لا يتحول إلى وجود ولا يخلق وجودا، فإذا قيل أن العالم مفتقر في إحداثه إلى سبب، وإن الإحياء محتاجة في وجودها إلى الخالق؛ قيل: بل يجوز ذلك من تلقاء نفسه، يقول المشير أحمد عزت

1- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، مرجع سابق، ص92.

باشا :"من حيث إنه لا روح ولا نفس ناطقة، فمن الذي يشعر بما تفرزه الحركة الدماغية ؟ومن الذي لا يشعر بها ؟وما معنى كلمة نحن الذي يستعملها ذلك المتكلم؟ يوخنز.[1]

الفرع الأول: مكانة وقيمة الإنسان.

إن الإنسان في القرآن الكريم كائن مكرم مفضل مخدوم محترم ، وذلك في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [2]، هذه ناحية تتصل بالتكريم المادي للإنسان، وثم ناحية تتصل بكيانه المعنوي .

الفرع الثاني: الخلق في أحسن التقويم.

فالإنسان نفخة من روح الله الأعلى، هكذا بدأ خلق آدم، إن الحياة في شتى الأجسام المتحركة شيء، وخصائص الحياة الرفيعة في أبناء آدم شيء آخر، وقد أشاع الله نعمة الخلق بين خلائق كثيرة برزت من العدم إلى الوجود، بيد أن آدم وحده هو الذي وصفه بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ،[3] واطرد هذا التكريم في ذريته إلى قيام الساعة، قوله تعالى: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[4].

وناحية أخرى لها الأثر الأكبر في مستقبل الإنسان ومستقبل الكوكب الذي أعد لسكناه، بل في مستقبل المجموعة الشمسية التي ستنير عقدها، وينطفئ نورها مع انتهاء الرسالة على ظهر الأرض. وهي التكليف ؛فإن الله الذي زود الإنسان بالسمو في مواهبه ولم يتركه سدى، بل أمره ونهاه؛ إن أبانا آدم وهو الإنسان الأول، كلف ألا يأكل من شجرة

1 – محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص24.

2 – سورة لقمان : الآية 20.

3– سورة الحجر: الآية 29.

4– سورة السجدة: الآية 7–8.

معينة، وكان جديرا به أن يعرف حق الأمر، ولكنه بعد مرحلة من الذهول والضعف، عرضت له ساعة انهيار في إرادته فأكل من الشجرة المحرمة هو وزوجته فطردا جميعا من الجنة، وندما وتابا فدعوا الله قائلين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُون وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[1]، إن هذا السلوك من الإنسان الأول يجعلنا نتساءل عن علته؟ إن العلة واضحة لأن الإنسان بدأ حياته بطبيعة مزدوجة، قبس من نور الله داخل غلاف من طين الأرض! وقد نبه الله تعالى إلى هذا الخليط في التكوين البشري،[2] فقال جل شأنه ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3].

المطلب الثالث: وظيفة الإنسان.

يرى الشيخ محمد الغزالي أن الأنسان كائن مكرم مفضل محترم، ومن حق الله تبارك اسمه أن يعاتب البشر على سوء تقديرهم، لأنه قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[4]. فالتكريم والتسخير والنعم تقابها المسؤولية البشرية على اتباه الهدي الإلهي في الحياة كي تحقق الإنسان حقيقة وجوده وغايتها.

الفرع الأول: العبودية لله عز وجل.

هذه الناحية متصلة بالتكريم المادي للإنسان، وناحية ثانية تتصل بكيانه المعنوية فالإنسان نفخة من روح الله الأعلى، هكذا كلتا الناحتين من التكريم والتنعيم استتبعت ناحية ثالثة كان لها الأثر الأكبر في مستقبل الأنسان هذه الناحية هي التكليف فإن الله

1 – سورة الأعراف: الآية 23-24.

2 – محمد الغزالي، علل وأدوية، دار الشروق، دط، دت، ص11.

3 – سورة الإنسان: الآية 2.

4- سورة لقمان: الآية 20.

الذي زود الإنسان بهذا السمو في مواهبة لم يتركه سدى بل أمره وطلب منه أن يفعل وأن يترك، وربما كلفه أن يفعل ما يثقله وأن يترك ما يشتهيه، يظهر ذلك فيما كلف به أدم عليه السلام، حيث قال: "إن أبنا آدم وهو الأنسان الأول كلف ألا يأكل من شجرة معينة وكان جديرا به أن يعرف حق الآمر جل شأنه وأن يدع الأكل من شجرة معينة، وكان جديرا به يعرف حق الأمر جل شأنه، وأن يدع الأكل من هذه الشجرة أبدا، وكنه بعد مرحلة من الذهول، وعرضت له ساعة انهيار في إرادته وامتداد في رغبته، فأكل من الشجرة المحرمة وشاركته زوجته في عصياته فطردا جميعا من الجنة، وكانا قد أحسا بالخطأ الذي تورطا فيه فدعوا الله نادمين: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]"، ونزول أبونا إلى الأرض وشرع كثير من الأبناء يمثلون القصة نفسها ويرتكبون الخطأ ذاته ولكنه ليس أكلا من شجرة بل اتباعا للشهوات التي تقود إلى العصيان والحرمان؛ فالعنوان متغير والحقيقة واحد.

إن هذا السلوك من الإنسان الأول يجعلنا نتساءل ما علته؟

العلة واضحة ذلك أن الإنسان خلق من طبيعة مزدوجة، فهو قبس من نور الله داخل غلاف من طين، حيث محمد الغزالي قال الشيخ: إن الله تبارك وتعالى بعدما صور الإنسان من التراب سواه نفخ فيه من روحه، فإذا كائن عجيب يجمع النقائص في تركبيه، يقدر على التسامي وعلى الإسفاف، يقدر على الاستقامة وعلى الانحراف، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذا الخليط في التكوين البشرى فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[2] [1].

1 سورة الأعراف: الآية 25-23

2 سورة الإنسان :الآية 2

وكلتا النزعتين الأرضية والسماوية تجد في الحياة أو في بيئة الأنسان ما يضعفها أو يقويها وقبل ذلك كله نجد في الإنسان نفسه ما يرجح كفة على أخرى، وما يسلم زمامه للخير أو الشر كما يريد هو لنفسه دون تدخل من أحد في اتجاهه هنا أو هنا.

قال الشيخ محمد الغزالي: "ولا بد من تأكيد هذه الحقيقة، حقيقة الإرادة الحرة في الصعود والهبوط، في التقوى والفجور، في إغضاب الله أو إرضائه، فإن الرحمن الرحيم يستحل أن يظلم إنسانا سعى في مرضاته كما أنه لا يرضى عن إنسان سعى في إغضابه، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2].. والله جل شأنه ينادي الإنسان ويذكره على الإنسان أن يلبي ويتذكر ويهتدي، فإذا أبى إلا الشرود فهو وحده الملوم من ثم تقررت هذه الأحكام العادلة التي تدركها من قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [3] قال أيضا ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[4]...[5].

ثم نتسأل من جديد: ما قيمة الصوت المضلل الذي يستمع إليه الإنسان فيزيغ ويشقى؟

إن الإنسان في هذه الدنيا تهيجه رغبة حمقاء إلى شيء محرم ما إن يوقعه حتى يحس الفراغ والضياع، هذا يعود إلى أصل نشأته بأنه له مصدرين، أولهما نفس الإنسان أو الايهاب

---

1 محمد الغزالي ، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي ،ط2، دولة الكوني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 14436 هـ/2011ص 392.

2 سورة النازعات: الآية 41-38

3 سورة الأنعام: الآية 104

4 سورة الشمس: الآية 7-10

5محمد الغزالي ، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي ،ط2، دولة الكوني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2019-م- 1431هـ ص 392.-393

الترابي الذي غلفت به والمصدر الثاني من كائن آخر خاصم الإنسان من النشأة الأولى وهو الشيطان الذي آلا على نفسه استدامه هذا الخصام يوم النشور وفي المصدر الداخلي للمعصية، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [1]

فالنسيان والضعف في العزيمة رذائل وقع فيها الإنسان الأول ومع تولدها في نفسه تتهيأ الإمكانيات للشيطان كي يوسوس ويخادع ويقول لآدم وامراته: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [2].

فالضعف النفسي أولا ثم الوسوسة الشيطانية ثانيا؛ ولا عبرة بما يتعلل به المخطئون من أن الشيطان هو السبب الأول والأخير في الانحراف؛ حيث يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن الشيطان محطة إرسال يذيع منها فنون الإغراء والإغواء، والإنسان هو الذي يهيئ أقطار نفسه لاستقبال هذه الإذاعات والتجارب معها.

وأنت الذي تتخير ما تسمع من محطات الراديو المختلفة ولو شئت أغلت للفور ما تعاف سماعه وابتعدت عنه، حتى لا يصل صداه إلى سمعك أو قاومته مشاعر النفور والمقت حتى لا يستولي عليك، وقد منح الشيطان من أول يوم قدرة على إغواء الإنسان وخداعة. [3]

الفرع الثاني: الاستخلاف.

عند تأملنا للآيات القرآنية فإننا لا نعدم طفرا بوجه من الوجوه ،الحكمة من خلق الإنسان، وإذا رجعنا إلى قصة الخلق الأولى فإننا نجد تصريحا إليها لوجه من وجوه الحكمة من خلق الإنسان، وذلك في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

1 سورة طه: الآية 115

2 سورة الأعراف: الآية 20-22

3- محمد الغزالي، من مقالات الشيخ محمد الغزالي، ص395.

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾،[1] فالتصريح بالخلافة مقترن بالخلق أي خلق الله تعالى الإنسان لحكمة وغاية هي استخلافه في الأرض، وهي وظيفته ومهمته الوجودية، فالعبادة هي الأساس الأول الذي شرع الله أداءها وتحقيقها باعتراف البشر بأن الله الذي خلقهم ورزقهم يجب أن يعبد ويشكر. ولكن أغلب الناس في هذا العصر المادي يحسبون الحياة لا تعدو السنين التي يقضونها على ظهر هذه الأرض.

1-العبادة: شيئا يقصد لذاته ويوثقون صلتهم بالله ومن العبادات مثلا الصلاة –وهي في لبابها مناجاة عبد لربه-إن الإسلام لم يشرعها عملا فردي، بل نظاما جماعيا تتراص الصفوف له، والإسلام يضفي على أرجاء الأمة روح الخضوع لله ويجعل من رسالتها الإنسانية الكبرى –إذا مكنت في الأرض-أن تشرب الجماهير عاطفة الحب للمسجد وإلف النداء المنبعث منه.[2] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[3] لن يتم إسلام المرء إلا إذا قال من أعماق قلبه بإزاء كل ما أوصى الله به: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.[4] إن العبادة تشمل نوعين من الأعمال:

الأول: الفروض العينية التي لا يخلو منها مكلف، وهي فروض تنظم الناس فردا فردا، ويعتبر كل أحد مسؤولا برأسه عن أدائها.

الثاني: الفروض التي يسأل المجتمع بجملته عنها، ويكلف بتوفيرها في نطاقه العام، ويعد الأفراد قاطبة مقصرين إذا خلا المجتمع منها، وهذا ما يسمى الفرض الكفائية[5].

1 – سورة البقرة: الأية 30.

2 – محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ج 1ص57.

3- سورة الحج: الآية 41.

4 – سورة البقرة: 285.

5- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص58

2-العمارة: فالحق على أهل الإيمان أن يتمكنوا في الدنيا ويقدروا عليها بسعة العلم وقوة العمل لأن الله لم يخلق عباده كي يعيشوا على هامش الحياة، أو يضطرب في أيديهم زمامها وهو القائل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.[1] ولهذا التمكن ثمرتان: الأولى حسن ارتقاء الأرض، واستغلال خيراتها في رفاهية الإنسان ومتاعه إلى حين... والثمرة الثانية تطويع ما في الأرض من قوى لدعم الحق، وإقامة نظام محكم لجعل الأمور تمشي وفق ما شرع الله.[2]

وهذا ما تنصح به الآية الكريمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[3] إن إجادة الأعمال كلها غاية من وجود الإنسان على ظهر هذه الأرض، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.[4] ولما كان الإنسان خليفة الله في الأرض كان تصرفه في عناصرها من نفخة الروح الأعلى فيه[5].

إن ارتباط الحياة الإنسانية وضروراتها ورفهها بالكون، فأغذيتنا وأدويتنا ألبستنا من هذه الأرض، والأرض كما علمت جزء محدود من العالم الممدود، إن هذا الكون كله خلق من أجل الإنسان مصداقا لقوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[6].

1 - سورة الأعراف: الآية 10.

2- محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، ط5، دت، 1425هـ- 2004م، دار المقطم القاهرة، ص46.

3 - سورة الحديد: الآية25.

4- سورة الملك: الآية 1-2.

5 - محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص62.

6- سورة إبراهيم: الآية 33-34.

المطلب الرابع: مصير الإنسان.

يعلم كل الناس أن مصيرهم الموت، فهذه الحياة فترة من الزمن يقيضونا فيه بعض من الوقت، ثم يخلفهم جيل آخر من البشر، ولايزال يجري حتى إذا نال منه الإعياء مات ويُسحب الجيل المنهوك فيلف في الأكفان ويوارى في التراب، وينفر الجيل الجديد حتى إذا لحقه ما أصاب سلفه سُحب كذلك وجيء بآخرين وهكذا دواليك.

الفرع الأول: الموت.

يعلم الناس جميعا أن الموت نهاية حاسمة لكل حي ومصير لابد أن ترده كل نفس ولكن أكثرهم يأخذ عن الموت فكرة غامضة، ويكون له صورة مغلوطة مشوهة ينال الإنسان منها ما ينال الدواب تحت أكوام التراب أو الأنعام المهضومة في بطون الآكلين ثم لا شيء بعده ؟؟ هذا ضلال بعيد...فليس الموت فناء ولا شبه فناء ربما كان الموت نومه طويلة كما أن النوم الذي نعرفه وفاة قصيرة.

ولئن كانت الروح تفارق الجسد إلى حين، إن ذلك لا يغير من حقيقة الإنسان شيئا، فالجسد كالثوب يكتسى الإنسان ويعرى منه ولا مدخل له في جوهرة، ولا يجوز أن نعد الموت إلا انتقالا من مكان إلى مكان لا ينقص فيه إدراك المرء لحقائق الوجود شيئا[1].

لا يكاد المرء يترك دنيانا هذه حتى يبدأ حسابه ويظهر ثوابه وأعقابه، وقد ساق لنا القرآن الكريم طرقا من أحوال الناس في هذه المرحلة من حياتهم الآخرة فهو يقول عن الكفار من آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[2] ويصف نعيم الشهداء وترقبهم لإخوانهم كي يقوموا عليهم ويشاركوهم في السعادة التي غمروا بها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن

1- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص 218-219-(بتصرف).

2- سورة غافر: الآية 46.

رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[1]

فقبل موت الأنسان تظهر عليه بواكير الخير و بوادر الشر في اللحظة الأخيرة من عمره الإنسان فقد جاء في السنة أنه في تطمين المؤمن حين يحتضر نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] .

كما أن نُذُر العقاب الأليم تواجه الفسّاق والظلمة في تلك الساعة الحرجة: قال الله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [3]، وللعصاة من المؤمنين حظهم من المتاعب والالام جزاء تفرطيهم في الواجب[4].

إذا كان للمؤمنين لهم نصيب من النار جزاء عصيانهم فما حديث الشفاعة نبينا محمد الذي يخبرن فيه: أمة محمد بخير؟

يغلط عوام المسلمين بأحاديث واردة في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض العصاة وتعلق أولئك العوام بأحاديث الشفاعة يخيل إليك أن قوانين الجزاء بالطلب، وأن نيران

1- سورة آل عمران: الآية 180-179.

2- سورة فصلت: الآية 30.

3- سورة الأنعام: الآية 93.

4- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق: ص 220-221.

الجحيم توشك أن تتحول بردا وسلاما على عصاة المؤمنين، وكثيرا ما يفرط هؤلاء الجهال في الفرائض، ويقعون في أوخم الذنوب؛ ثم يقولون: أمة محمد بخير. ذلك مسلك ساقط.[1]

لسنا نرد ما صح من أحاديث الشفاعة بل نثبتها في مواضعها التي لا تعدوها حتى لا نحرف الكلم عن موضعه، روى الشيخان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا)[2]، هل معنى هذا الحديث أن الشفاعة التي يرجوها الرسول صلى الله عليه سلم تنفذ مرتكبي الفواحش والمناكرة ممن ماتوا لا يشركون بالله شيئا دون أن يستوفوا جزاءهم؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه يرد هذا الزعم وقد روى البخاري حديثا يصف فيه أهوال الحشر أهل النار قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: (يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم، سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شواك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنه مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوُبَق بعمله، منهم من يُخردلَ، ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل..)[3]، وهذا الحديث يفيد أن من المسلمين الذين يعبدون الله وحده قوماً سيدخلون النار وأن لهبها سينال ملامحهم فلا يعرفون إلا بآثار السجود.

1- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مصدر سابق، ص222.

2- أبو الفضل أحمد بن علي، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1994م، ج19، ص461، رقم الحديث:3463، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية.

3- البخاري، الجامع الصحيح، باب فضل السجود، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، ج9، ط1، 1422، ص160.

وأن رحمة الله فحسب هي التي تدركهم فتنقذهم مما يعانون من بلاء..

قد بين الله سبحانه أن الشفاعة لا تجب على الكافر ولا على فاسق مثقل بالخطايا؛ قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾[1]

والظاهر أن الشفاعة التي يرجوها النبي الكريم صلى الله الله عليه وسلم، إنما تدرك صنفا من الناس تأرجحت موازين الحق والباطل في أعماله فهو بين السقوط والنجاح نظرة رأفة ونميل إلى منحهم درجة أو درجتين جبرا لنقصهم.

أما الذين يبتعدون عن المستوى الأدنى للنجاح مسافة بعيدة فإننا نحكم بسقوطهم فورا فلعل الشفاعة المنسوبة للرسول الكريم تنقذ أمثال هؤلاء المقاربين للنجاة وبهذا التفسير يتم الجمع بين النصوص.

ما علاقة الإنسان بالله تعالى ؟؟

من خلال بحثنا حول الله والإنسان في المبحثين السابقين جعلنا نطرح تسأل: ما هي علاقته وكيف تكون عليه العلاقات بين المخلوق والخالق والمرزوق والرزق والتواب الغفور والبائس الفقير والمنعم الكريم ؟؟

إن الصورة الوحيدة المعقولة أن يعترف الأدنى بالأعلى اعترافا ماديا ومعنوية يظهر في النفس وعلى الجوارح وخصوصا إذا كانت هذه العلاقات ممتدة لا انقطاع لها فقد يظن ظان أن الصلة بين العبد وربه يمكن أن تشبه الصلة بين الوالد وأبويه يحتاج الطفل إليها صغيرا فإذا كبر استغنى وربما دفعة استغناؤه إلى العقوق وجحد ما مضى.

كلا إن حاجة العبد إلى الله خالدة أمس من حاجة الرضيع إلى أمه مهما تراخت الأيام وأمسى في حاجة النبت إلى الشعاع والماء كي يزدهر وينمو، هذا في قوله سبحانه وتعالى:

1- سورة البقرة: الآية 48

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾[1].

إن فقر البشر إلى الله شديد وما يستمتعون به من سمع وبصر وأفئدة مواهب معارة منه لو يشاء استردها في أية لحظة ووقف أعتي العتاة صفر اليدين لا تجد الهباء بل تلفظه في الأرض والسماء ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [2]

ولكن النفس الإنسانية ق تلجأ إلي الخداع فترى الإنسان يؤثر الكبرياء على التواضع ويزعم أنه مستغن بنفسه عن عناية السماء ويحاول إيهام الآخرين أنه من ذاته لا من مصدر آخر فيرفض كل نصح يذكره بأنه أحد عبيد الله على الأرض قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[3]

فالله سبحانه يمقت من عباده أولئك الصنف الذين يعمون عن أنفسهم وعن ربهم لقد خلق الناس ليعرفوه ويحمدوه ولا لجهلوه ويجحدوه فإذا شردت الأمم عن الجادة صب عليها سوط عذابه لتعترف بعبوديتها وتثوب إلى رشدها. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [4].

فإذا أبت إلا المضي في غوايتها ولم تعتبر مما مسها أمضى فيها عقوبته كاملة: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ، حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

1- سورة الأنبياء: الآية 42

2- سورة الأنعام: الآية 46.

3- سورة فصلت: الآية 50.

4- سورة الأنعام: الآية 43.

مُبْلِسُونَ﴾[1] إن الله يقرب برحمته ممن يقفون عند منازلهم الإنسانية ويوقنون بربهم سرا وعلانية.[2]

الفرع الثاني: البعث.

مَثل الشيخ الغزالي للحياة بالفندق، حيث قال: نظرت عن كثب إلى الفندق الذي أنزل به-وكنت في أحد أسفاري- ثم دار في نفسي سؤال :ترى كم شخص سكن غرفتي قبل أن أسكن فيها: وكم شخص سيحل مكاني بعد أن أغادرها: أحسست أن الفندق كله شبيه بهذه الدنيا تظهر بها بغتة ثم تختفي .

إن أناسا كثيرين قروا هنا ثم ولوا، لقد رأى بعضهم بعضا كما يرى النزلاء أنفسهم حينا في صالة الفندق وكل مشغول بشأنه يعيش في وجوه الخاص فما تربطه بغيره إلا نظرة عابرة وبسمة عارضة! هكذا التقى أبناء كل جيل بأترابهم، ثم انتهوا. ويقول: تذكرت الآية التي وصف بها هذه الحياة.[3] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4].

فعندما خلق الله تعالى أبناء آدم لم يدعهم يعيشون في الأرض عدد سنين ثم يفنون، والموت الذي يعترض محياهم على ظهر الأرض هو رقدة مؤقتة أو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود، كانت الأولى للغرس والثانية للحصاد، وخلال لغوب الأحياء في ميادين الحياة وسكون الموتى تحت صفائح القبور، يقع حادث كوني عظيم إنه البعث.[5] كما وصفه الله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.[6]

فما هو البعث وكيف عرفه الشيخ الغزالي؟ وهل هو روحي أم مادي؟

1- سورة المؤمنون: الآية 77-75.

2- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص134.

3 - محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، مرجع سابق، ص 43.

4- سورة يونس: الآية 45.

5 - محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ج1، ص127.

6 - سورة يس: الآية 51-52.

من المعلوم أن الإنسان جسم وروح، ونمضي في شرح الجزاء المادي لنقول: إن مطالب الجسم محدودة، وإجابتها قليلة الكلفة عندما تختفي رذائل الترف والسرف! فهل هي فوق الجزاء المعنوي؟ نقول لا ...وتفاوت المواهب والهمم والجهود يلقى أجزية شتى بعضها أعلى من بعض.

إن الإنسان الذي هو مادة وروح لا يصلح إلا بتعاليم تعترف بمادته وروحه معا. فالجنة هي وعد الله لعباده فنعما هي، وشكرا لمن أعدها للمتقين، وهنيئا لمن يصير إليها يمرح في بحوثها ويسعد بربه الذي طالما صلى وصام من أجلها، إنه في هذه الجنة يشهد من كان يعبد بالغيب، ويتلقى فضله في قلبه وعلى بدنه، لذات مادية معنوية متشابكة لا انفصام بينها، قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا، عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.[1] أما الذين أحسنوا الغرس، واستعدوا للقاء يقولون :﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] .

ولقد أهاب الله بخلقه أن يسارعوا إلى الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾،[3] بالنار: أما الذين ظنوا العيش بين المهد واللحد، هو الوجود الأول والأخير، وجحدوا ما بعده فلهم شأن آخر؛ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[4]، إن الموت فضح الحياة ،ومع ذلك فحبنا للحياة يعمى ويصم ،وذهولنا عن الجزاء المرتقب أدهى وأمر[5].

1- سورة الإنسان: الآية 20-24.

2 - سورة الصافات: الآية 58-59-60.

3 - سورة آل عمران :الآية 133.

4 -سورة الملك :الآية 6-7-8.

5 محمد الغزالي ،مائة سؤال عن الإسلام ج 1ص 52.

المبحث الثالث: ملامح الرؤية الكونية للكون عند محمد الغزالي

المطلب الأول: وجود الكون وخصائصه في فكر الشيخ محمد الغزالي

المطلب الثاني: وظيفة الكون في فكر الشيخ محمد الغزالي

المطلب الثالث: مصير الكون في فكر الشيخ محمد الغزالي

المبحث الثالث: ملامح الرؤية الكونية للكون عند محمد الغزالي

عندما يتأمل الإنسان في الكون يجعل يتسأل عنه؟ لماذا وجد ما غايته؟ هل سيزول؟ هي أسئلة تدور في فكر أي إنسان، ولن يحصل على الإجابة التي تقنع عقله وتريح قلبه إلا في ظل الرؤية الكونية الإسلامية.

المطلب الأول: وجود الكون وخصائصه في فكر الشيخ محمد الغزالي

عندما نتساءل في أنفسنا عن هذا الكون من صانعه بهذه الدقية العجيبة؟ ، ونرى مثلا وضع الأرض أمام الشمس في مسافة معينة لو نقصت لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان، ولو بعدت المسافة لعَم الجليد والصقيع وجه الأرض، ثم نتسأل من أقامها في ذلك المكان الذي نتنعم بحرارتها بين احتمال الاحتراق او الجمود؟

الإجابة هي أن الله هو الخالق والمالك الأول لكل شيء، لا يشركه أحد في خالقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [1].وقال أيضا : ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [2]

فالله عز وجل هو رب العالمين، وصاحب السلطان الواسع، خلق هذا الكون الضخم كأنه قال بعد ما أتمه، لقد يسرت كل هذا لكم فهل من منتفع، فالله خلق لنا هذا الكون لوحدنا لكي نستمتع به لقاء أن نعرف صاحبه فنسبحه ونشكره ونحمده، والقرآن الكريم

1 - سورة الجاثية: الآية 12-13.

2 -سورة المؤمنون: الآية89 -84.

مفعم بالآيات الشارحة لهذه الحقيق التي تدل الإنسان على الخير المتاح هنا وهنالك، حيث قال الشيخ محمد الغزالي: "خلق الله الكون وسخر ما فيه كي يقود المرء الشريد إلى قصر مشيد، ويقول له: هذا البناء العظيم لك، وهذى مفاتيح ابوابه بين يديك اقتيد البشر أجمعون إلى آفاق العلم، ووقفوا على برزخ بين البر والبحر، ثم قيل لهم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[1]

وقد أجمل القرآن عرض هذا الفضل المباح في قوله:﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] ، ثم فصل صنوف التي هيئت لمرح الإنسان في بحبوبة الغنى الإلهي المسخر له، وفصل صنوفا في سور شتى؛ قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[3] .

والآيات المبينة لفضل الله كثيرة في كتابه العزيز، فالعالم الممتلئ بالخيرات المشحون بالقوى بين الإنسان وتحت قميه، فيكون ملكا فيه وعبد لله في قت واحد[4].

1 - سورة الجاثية: الآية13 -12.

2 سورة البقرة: الآية 29.

3 سورة النحل: الآية 80-81.

4 -محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ط6، مصر، دار نهضة،2003م،59-58.

خصائص الكون: من أهم خصائص الكون هي:

1-عظمة خلق الكون:

لفتنا القرآن الكريم انظارنا إلى عظمة الخالق في كونه كي نزداد به إيمانا، وله إذعانا تدبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾[1]

إن يقول العلماء: إن أربعة أخماس الأرض مغمور بالماء والأرض كرة كالقمر وعندما ما نتصور أربعة أخماس السطح الدائر موارا بالماء مستقرا في الفضاء لا ينسكب عن يمين ولا شمال مقوسا لا مستقيما، كما نألف في مقادير المياه المستعملة بين أيدينا عندما نتصور ذلك، نتساءل حتما كيف يقع هذا ومن يمسكه، إن الله هو الذي أسكنه في الأرض وكف أموجه عن الانسياب هنا وهناك... ودورة المياه بين الأحياء جدير بالنظر، فنحن ودوابنا وزروعنا تشرب من الأنهار والينابيع التي جاء بها السحب الهامية القادمة من البحار الكبرى، ثم تذوى الأجسام والزروع، ويتسرب ما بها من ماء عائدا من حيث جاء، سالكا ألف فج ليتكون مرة أخرى سحبا وأمطارا وينابيع وأنهارا وهكذا دواليك تبقى الحياة مع قدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص... وقد إشارة القرآن إلى هذه الدورة المتجددة في قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

ولنتجاوز حديث الماء إلى حديث الظلال والأضواء، حيث يقول محمد الغزالي : إنني عندما أسمع القرآن يتحدث في هذا الموضوع أشعر كأن الله سبحانه يعلم روعة ما صنع – لله المثل الأعلى- ويحدثنا عنه لنعجب ونسبح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[3]

1 -سورة المؤمنون: الآية :18

2 -سورة الحجر: الآية :18

3 -سورة الفرقان:46-45.

ويقول الشيخ محمد الغزالي متعجبا ومؤكدا على عظمة الكون: "تابعت ظلال الأشياء في أوقات كثيرة وأنا هابط من الطائرة، وهي لما تستقر على الثرى، وظلها يسابقها أو هي تسابق ظلها قلت: أين كان هذا الظل ونحن في الجو؟

لقد شاهدت ظلال الجبال، وظلال السحب القريبة، أما السحب العالية فلم أشهد لها ظلا يبدو أنه ليس هناك ما يمسك الظل المتمدد في الفضاء

ولكن ظل الأرض السابحة في جو السماء يجد ما يمسكه فوجه القمر يتشكل هلالا وتربيعا وبدرا حسب ما يستقبل من هذه الظلال ... وقرأت قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾ [2].

2- التنوع في التكوين والفوائد والآثار:

في القرآن حيث عن آلاء الله المبذولة لسكان الأرض كلهم، في مساكنهم ومأكلهم وحلهم وترحالهم هي نعم يمرح فيها المؤمن والكافر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [3]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ، وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ

1- سورة النحل: الآية 43.

2- سورة ق: الآية :9-11.

3- سورة الأسراء: الآية 25،

نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾[1]، واسمع قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾[2] .. وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على التنوع العجيب في الكون وثماره ومقاصده[3].

المطلب الثاني: وظيفة الكون في فكر الشيخ محمد الغزالي

يرى محمد الغزالي أن الوظيفة التي خلق من أجلها الكون هي خدمة الانسان، ذلك من خلال توفير متطلبات العيش في الحياة، وخدمة ما يخدم الإنسان، هذا تسخير من أجل الإنسان منتشر كثيرا في القرآن الكريم، يبين هذه الوظيفة قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾[4] وقال تعالى أيضا : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[5] ، ونقرأ قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[6]، وبين يدي عرضها في سورة الحجر سرد للنعيم التي تحف الحياة البشرية نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا

1 -سورة النحل: الآية 80-81.

2 -سورة الرعد: الآية 4

3 -محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص.60

4 سورة البقرة: الآية 29

5 سورة البقرة: الآية 22

6 سورة الأعراف: الآية 10-11

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾[1].

والواقع أن الرغيف الذي يطعمه إنسان تشترك في إنباته وإنضاجه فجاج الأرض وآفاق السماء فتربه الأرض والسحب الهامية والأشعة العمودية أو المائلة التي تتعرض لها الحقول خلال دوران الأرض حول الشمس وآثر الضوء في تكوين الخضرة، وأشياء أخرى كثيرة تتعاون جميعا على تكوين الغذاء والملبس والدواء... الذي يحتاج إليه البشر، إن شبكة من المواد الدقيقة جدا والجسمية جدا، انتظمت في خدمة الإنسان وتأمين معايشه وتخطيط حاضره ومستقبله، كل يؤدي دوره بوفاء وقدرة... الكوكب السابحة في الفضاء والجريم التي لا تراها العين.

ذاك سر الأقسام الكثير التي وردت في القرآن الكريم مشيرة إلى عظمة هذا العالم: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ، وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ، وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ، لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ، فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2] ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ، وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ، وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ، إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾[3] وتدبر القسم بالريح المثيرة والسحب الحافلة وما يتبع ذلك من زرع وحصاد وتجارة احتراف وخبرات نعم البشر: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ، فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ، فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ، فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾[4]، إن رب العالمين أبدع الصنع الجميل، لنعجب به ونتذوق جماله[5].

1 سورة الحجر: الآية 20-16

2 -سورة الانشقاق: الآية 16-20.

3 -سورة المدثر: الآية 32-35.

4 -سورة الذاريات: الآية 1-5.

5 -محمد الغزالي، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي، ط2، دولة الكوني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 14436 هـ/2011ص 392-391.

المطلب الثالث: مصير الكون في فكر الشيخ محمد الغزالي

إن مصير الكون كمصير الإنسان؛ هو الزوال والفناء المحتوم، حيث قال الشيخ محمد الغزالي :ترى القمر والليل ساج يرسل أشعة الحالمة مغربا كما يقول الشعراء بالقريض والحب؟ أترى البر والبحر وما يعجان به من حياة وأحياء؟ ، ذلك كله سيزول؟

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ، وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ، وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ، وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ، بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ، وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ، وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ، وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ، عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾ [1] أي والله ولقد خالجني شعور غريب في ليلة رائفة وأنا على شاطئ النيل في قريبا الصغيرة كنت أشعر بشيء من الإعزاز لهذا العالم الأرض الخصبة التي تهتز بالزراعة وتزدان بالفاكهة وحب الحصيد والنهر المنساب في صمت لا يهدر له موج ولا يسمع له مد ولا جزر...

ثم تذكرت بغتة أن ذلك المنظر سيختفي حتما وأن السماء والماء والهواء والمزروع والمصنوع ستبلغ أجلها ثم تتلاشى، لقد شعرت والحق يقال بأنها خسارة فادحة أن تمحى كل هاتيك المعالم الجميلة.

بيد أن ذلك لم يلبث أن أعقبه شعور آخر شعور بأن الذي يطوى هذا العالم سوف يخلق أجمل منه، وأحلى في العين والمذاق، وسوف يخله لا تتغيض فيه ولا لغو ولا تأثيم، وسوف يمرح فيه ولا لغو ولا تأثيم، وسوف يمرح فيه فحسب من يشكرون الصنع ويقدرون صاحبه أعني المؤمنون الطيبون، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ،وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ

1 -سورة التكوير: الآية 1-14

حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] [2].

والظاهر من نصوص الدين أن للدنيا نهاية مقررة لا تعدوها، تشققُ بعدها السماء وتنْهد الأرض وتغيض البحار ويهلك الحرث والنسل وتطرى الصفحة الحافل بتاريخ رهيب من بدء الخلق إلى فنائه.

وكما أن للإنسان عادة أعراضا قبل أن يحين أجله تؤذن بموته من شيخوخة أو مرض أو غيرها أعرض إذا ظهرت عليها دل ذلك على أن مصيره اقترب، كذلك الكون له علامات تدل على نهايته كما أخبرت به السنة النبوي والقرآن الكريم أن للكون علامات تدل على اقتراب ونهاية العالم، نذكر منه انتشار الفساد بين الناس، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله)، في حديث أخر (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع)، وعودة الوثنية إلي الجزيرة مرة أخر (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخصلة) وهو صنم كان يعبدونه في الجاهلية الأولى، وتهيج نيران الحرب في الأرض نتيجة سقوط الضمار وخراب الذمم ، وتمحق البركة من الأعمار فهي مهما طالت قصرة تمر ما يكاد أحد يشعر بها (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساع كالضرمة من النار)كإشعال عود من الثقاب... غيره من علامات[3].

على أن هنالك علامات حاسمة تسبق الختام الأخير لهذا العالم ذكر منه: رجوع عيسى بن مريم إلي الحياة الدنيا مرة أخرى، وظهور الدجال، وشروق الشمس من حيث تغرب وخروج الدابة[4].

---

1 -سورة الزمر: الآية 75-74

2 -محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص77-80 (بتصرف)

3 -محمد الغزالي، عقيدة ،228

4 -المرجع السابق، ص 229

ما علاقة الإنسان بالكون؟

علاقة الإنسان بالكون هي علاقة تسخير وتذليل خلق الله الإنسان على سطح هذه الأرض ويسر له سبل العيش والحياة فيها فجعل الأرض وما فيها وما عليها لصالح الإنسان وأحاطها بنظم كوني يلائم ظروف الحياة عليها فجعل علاقة الشمس والقمر والجاذبية والغلاف...الخ؛ وهي علاقة مناسبة للحياة الأنسان على سطحها وفي باطنها كل مستلزمات الحياة والتطور فيها فجعل النبات والحيوان والبحار والأنهار والمعادن كلها في خدمة الأنسان من أجل توفير مصالحه وتيسر حياته وأحاطه بالنعم والخيرات، وآتاه من كل ما يحتاج إليه في حياته دونها نقص أو خلل في نظام التكوين.

المبحث الرابع: آثار الرؤية الكونية الإسلامية عند محمد الغزالي:

المطلب الاول: آثر الرؤية الكونية الإسلامية لله على حياة الإنسان

المطلب الثاني : آثر الرؤية الكونية للإنسان على حياة الإنسان

المطلب الثالث: آثر الرؤية الكونية للكون على الإنسان

المبحث الرابع: آثار الرؤية الكونية الإسلامية عند محمد الغزالي:

مما لا شك فيه إن للرؤية الكونية أثرا على حياة الإنسان سواء كان فردا أو مجتمعا، وهي ما سنتناوله في المطالب الآتي:

المطلب الاول: آثر الرؤية الكونية الإسلامية لله على حياة الإنسان.

من بين آثار الرؤية الكونية لله تعالى:

1- عندما يؤمن الإنسان بالله تعالى يحرر نفسه من الخضوع للمخلوقات التي لا تنفع ولا تضر، تحريرا من تسلط الفراعنة والأرباب والمتأهلين؛ بأنه أحد خلق الله وعبيده، وهو تحرير العقل من الغفلة والجهل، ذاك من خلال تحريره من ضلالات الإلحاد وشرك.

2- أن الإيمان بالله يكون شخصية متميز تعلم طريقها وغايته فليس لها إلا الله تتجه له في الشد والرخاء يدعوه في السراء والضراء تعمل على ما يرضيه، بخلاف المشرك الذي توزعت معبوداته، فحينا يتجه إلى الله، وأحيانا إلى غيره من الآلهة الباطلة المعنوية والمادية.

3- اليقين بكمال الله تعالى في أفعاله وصفاته، ويثير سحر الأعجاب والحب والإيمان في قلب المؤمن، مما يزيده تقربا وخشية لله تعالى.

المطلب الثاني: آثر الرؤية الكونية للإنسان على حياة الإنسان.

من بين أثار الرؤية الكونية للإنسان نذكر منها:

1- استقامة حياة الإنسان، ذلك من خلال بيان غايته في الوجود، ألا وهي عبادة الله تعالى والامتثال إلى أوامره.

2- خلق الإنسان في أحسن هيئة، وما مده من بصيرة وسمع وتشريف عن سائر المخلوقات يثير مشاعر الحب لله عز وجل، قال تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا).

3- عبودية الله لها آثر على الفرد، ذلك من خلال تزكية النفس وانتشار الألفة والمحبة بين الناس، وتماسك الأسرة والمجتمع، وتقد الأمم.

4- تكلم على مصير الإنسان في الخطب والمحاضرة له أثر في إحياء ضمير الإنسان من غفلته، وتخبطه في شهواته، حيث تكون أيضا سببً في امتصاص الجرام والآفات الاجتماعية المنتشر في أوساط المجتمعات.

المطلب الثالث: آثر الرؤية الكونية للكون على الإنسان

من بين أثار الرؤية الكونية للكون نذكر منه:

1- من أعظم الأثار الكون هو محب الله من خلال الخيرات التي سخرها من أجل الأنسان كي يعيش في رفاه، ذلك من خلال المناظر العظيم من البحار والانهار والجبال.

2- من أثار زيادة الأيمان بالله تعالى، ذلك من خلال أن المظاهر الكونية كنزول الأمطار والإنبات في الأرض...وغيرها، كلها مطابقة اما جاء به القرآن الكريم، ودليل قاطع على صدق الكتاب، وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

3- عندما يعلم الإنسان بأن خيرات الكون بيد الله تعالى، وأن الله هو المتصرف الأوحد على وجه الحقيقة، وأن خيره سبحانه لا ينفذ، وغنائه مطلق، فأن ذلك يزرع الطمأنينة في قلب المؤمن عن رزقه.

4- الأعجاب والتعظيم وإجلال الخالق بالنظر فيما إبداع في خلقه ودقة صنعه، فلا مصادفة ولا خلل ولا نقص.

الخاتمة

الحمد الله الذي أنعم علينا بإتمام هذا العمل وأسأله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله العلم النافع الذي ينتفع به وبعد:

هذه دارسة عن الشيخ محمد الغزالي؛ وقفت على أهم ما قدمه من إضافات ولماسات التجديد في جانب الرؤية الكونية، من خلال طرحنا الإشكال التالي:

ما هي ملامح الرؤية الكونية في فكرة الشيخ محمد الغزالي؟

ويمكن أن نستخلص بعض النتائج من هذه الدراسة:

- أن الرؤية الكونية الإسلامية هي الرؤية توحيدية الخالصة لتصور الله عز وجل في أبهى صور التوحيد والاستسلام لله عز وجل، وذلك من خلال نفي كل مظاهر الشرك، والرد على الشريكين والمنكرين على وجود الله بالدليل العقلي والفطري والعلمي، الذي ليس فيه رد أو بهتان.

-الرؤية الكونية الإسلامية تظهر العناية الإلهية بالكون، وتوجب لله تعالى المحبة والخشية والتعظيم.

- الرؤية الكونية الإسلامية تنظر للكون على أنه أية عظيمة تبين عظمة الخالق من جهة، من خلال عظمة خلقه، ويدل من جهة أخرى على رحمته من خلال ما بثهُ من خيرات من أجل خدمة الإنسان.

-الرؤية الكونية الإسلامية تنظر للإنسان على أنه أفضل خلق الله من حيث أصله الشريف أن نفخ من روح الله وخلقه في أحسن هيئة دون إخلال أو تشويه.

-الرؤية الكونية الإسلامية تنظر لله عز وجل نظرة كمال وتنزيه، وتنفي عنه جميع مظاهر النقص بأن الله ليس كمثله شيء، بخلاف الرؤى الأخرى كالمسيحة التي تصف الله جل شأنه بصفات النقص كالغلب والتعب... وغيرها، من الصفات المشابه للإنسان.

– ذكر الله عز وجل ضمن الرؤية الكونية الإسلامية لا يعني أنه جزء من هذا الوجود الكلي أو متحد معه بل هو خالق هذا الكون والمتصرف فيه، لكي تعطى لنا صورة عن الكون؛ مبدأ وغايتة ومصيرا، حيث عرفت لنا الله عز وجل الذي له مقاليد الكون، فجاءت الرؤية الإسلامية منفردة في عرضها لتجيب عمن هو الله.

– الرؤية الكونية الإسلامية تنظر للكون والإنسان على أنهم أحد خلق الله تستمد وجودها واستمرارها في حياة من الخالق سبحانه .

–. عبادة الله هي غاية التي خلق من أجلها الأنسان، وهي الغاية التي تسببت في تكريمه وتفضل الإنسان عن سائر خلق الله تعالى، حيث خلقه الله بيد، ونفخ فيه من روحه سخر له الكون ما فيه من أجله.

– الرؤية الكونية الإسلامية ترى إن الكون والإنسان لهم نفس المصير هو الموت والزوال من حياة ولكن وراء هذا موت والزوال حياة أخر لا نهاية لها.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ..... تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾	22	47
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ..... بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ٢٩ ﴾	29	47
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا ..... يُنصَرُونَ ٤٨ ﴾	48	9
﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ ... . تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾	185	25
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ..... ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾	255	46
آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ .... إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾	7	24
﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ... . تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠ ﴾	180-179	37
الأنعام		
﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا.....يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾	43	40
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ.....يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾	46	40
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ.....تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾	93	37
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ ..... شَىۡءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ ﴾	102-100	21
﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن .....بِحَفِيظٍ ١٠٤ ﴾	104	34
الأعراف		
﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ .....ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ ﴾	11-10	48
﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا .....عَدُوٌّ مُّبِينٞ ٢٢ ﴾	22	35
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا .....وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ ﴾	24-23	33

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن ..... كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾	194	20
﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ .... تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾	195	20
يوسف		
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ ... ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	20
الرعد		
﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ .....ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾	9-8	25
﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ..... وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾	15	45
الحجر		
﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ..... وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	20-16	48
﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ..... وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23-21	44
﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ ..... سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	30
النحل		
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ .....دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	47	45
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ .....ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	23
طه		
﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ..... عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ ﴾	115	35
الأنبياء		
﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا ..... خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾	8	31
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ..... عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	19
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ..... أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	19
﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم ..... رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42	40
المؤمنون		

﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ..... عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	44
﴿ * وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن..... مُّبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾	77-75	41
﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ ....يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾	91	19
﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ..... ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾	116-115	31
الفرقان		
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ..... قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾	46-45	45
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ..... ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ ﴾	47	45
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي ..... خَبِيرَۢا ﴿٥٨﴾ ﴾	58	27
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ .....شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾	62-61	17
القصص		
﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا . ..... وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	27
الروم		
﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ ..... لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾	08	16
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ .... ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	25
لقمان		
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ..... مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾	20	30
السجدة		
﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ ..... مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ﴾	8-7	29
﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ . .....قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾	9	29
الاحزاب		
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ..... ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾	32	32
فاطر		

﴿ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ... ۚ... وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ ﴾	18-15	23
﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ..... حَلِيمًا غَفُورًا ٤١ ﴾	41	18
الزمر		
﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ..... كَفَّارٞ ٣ ﴾	3	22
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ..... لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩ ﴾	29	21
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ .....هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾	63-62	16
﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي .....رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥ ﴾	75-74	50
غافر		
﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا .....ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾	46	37
﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ .... لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾	58	44
فصلت		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ .... كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾	30	37
: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ ..... غَلِيظٖ ٥٠ ﴾	50	40
الجاثية		
﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ .... ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾	6-3	43
الذاريات		
﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا .....إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ ﴾	5-1	49
الطور		
﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ ..... وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ ﴾	36-35	17
الانسان		
﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن ..... سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ ﴾	2	34
النازعات		

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ .... هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾	41-38	34
التكوير		
﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ..... نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾	5-1	49
الغاشية		
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ .....وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾	20-17	17
العلق		
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ..... يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾	5-1	25
الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ..... مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾	10-7	35
الاخلاص		
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾	3-1	26
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾	4	26

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
(أ)	
محمد عبد العظيم الزرقاني	08
(ش)	
محمد شلتوت	08

فهرس الموضوعات

إهداء: **4**

شكر وعرفان: **5**

ملخص البحث: **6**

قائمة المختصرات **8**

مقدمة.....أ

المبحث التمهيدي: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية وحياة الشيخ محمد الغزالي. **2**

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية الإسلامية ومصطلحاتها. 3

المطلب الثاني: حياة الشيخ محمد الغزالي الشخصية والعلمية.....12

الفرع الأول: مولده ونشأته.....12

الفرع الثاني: مساره العلمي.....13

الفرع الثالث: آثاره العلمية.....16

المبحث الأول: الرؤية الكونية لله عز وجل عند الشيخ محمد الغزالي. **18**

المطلب الأول: وجود الخالق عز وجل.....19

المطلب الثاني: وحدانيته سبحانه. 24

الفرع الأول: نفي الشرك 25

الفرع الثاني: نفي عبادة الأوثان.....26

الفرع الثالث: مقارنات بين الشركاء والعبيد. ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الفرع الرابع: نفي أن يكون لله الأبناء.....27

الفرع الخامس: نفي أن يعبد الله بأي واسطة. 28

المطلب الثالث: كمال الله وتنزيهه. 29

المطلب الأول: مبدأ الخلق.....35

السجل البيولوجي : ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الفرع الثاني: بداية الوجود الإنساني عند الشيخ الغزالي. 38

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان. 40

الفرع الأول: مكانة وقيمة الإنسان. 43

الفرع الثاني: الخلق حسن التقويم..... 43

المطلب الثالث: وظيفة الإنسان.....44

الفرع الثاني: الاستخلاف. 47

المطلب الرابع: مصير الإنسان.....50

الفرع الأول: الموت.....50

إذا كان للمؤمنين لهم نصيب من النار جزاء عصيانهم فما حديث الشفاعة نبينا محمد الذي يخبرن فيه: أمة محمد بخير؟.....51

ما علاقة الإنسان بالله تعالى ؟؟ 53

المبحث الثالث: ملامح الرؤية الكونية للكون عند محمد الغزالي 57

المطلب الأول: وجود الكون وخصائصه.....58

المطلب الثاني: وظيفة الكون.....62

المطلب الثالث: مصير الكون 64

المبحث الرابع: اثار الرؤية الكونية الإسلامية عند محمد الغزالي: 67

المطلب الاول: أثر الرؤية الكونية الإسلامية لله على حياة الإنسان 68

المطلب الثاني: أثر الرؤية الكونية للإنسان على حياة الإنسان.....69

المطلب الثالث: أثر الرؤية الكونية للكون على الإنسان 70

الفهارس العامة 74

فهرس الآيات 75

فهرس الأعلام.....80

فهرس الموضوعات 81

قائمة المصادر والمراجع.....84

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

ثانيا: المعاجم

1. مرد وهبة ، المعجم الفلسفي، (د ط) دار قباء الحديثة – القاهرة 2007م – 2107ص 335.

2. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَد بن محمد أبو الفيض الملقب ب: مرتضى الزبيدي، دط، دار الهداية، دت،

3. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج14، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ،

4. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، م1، دط، دم، دار الفضيلة، دت،

5. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، د ط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1989، ج 4،

6. ابن منظور، لسان العرب، ط:4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414 هـ، ج13،

7. إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسط، تحقيق مجمع للغة العربية (د ط) ،(د ن)، (د ت)، ج 2،

8. سورة البقرة: الآية 280.

9. أحمد فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دط، دم، دار الفكر، 1399هـ-1979م،

10. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح؛ رفيق العجم وعلي دحروج، ج2، ط1، دم، مكتبة لبنان، 1996م،

11. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، د ط، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م،

12. ثالثا: الكتب

13. علي العبود، الرؤية الكونية الإلهية دراسة في الدوافع والمناهج فلسفية كلامية عرفانية، نور للدراسات، ط2، 2012م-1433هـ،

14. تعريف إجرائي.
15. عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1993م،
16. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت لبنان، ج2، 1982م، ج2،
17. محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، معرفة الله، ط8، دار الرسول الأكرم، بيروت لبنان، 2008م -1429هـ، ج1،
18. مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، ط 2، منظمة الإعلام الإسلامي، معاونيه العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية إيران، طهران، 1409هـ-1989م،
19. سمير أبو زيد، العلم والنظرة العربية إلى العالم، ط1، بيت النهضة، بيروت، لبنان، 2009م،
20. مرتضى مطهري، المفهوم التوحيدي للعالم، دط، دار التيار الجديد، 1985م،
21. عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2، دم، دار الغرب الإسلامي، 1993م،
22. طلال فائق الكمالي، نظرية المعرفة في سياقها الإجرائي، دط، دم، دن، دت،
23. محمد عمارة، الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، ط2، القاهرة، دار السلام، 1430هـ -2009م،
24. عمر بطيشة، الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر، دط، دار الفاروق، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2010م،
25. محمد الغزالي، محاضرات في اصلاح الفرد والمجتمع، دط، دن، دت،
26. عبد الحليم عوسي، الشيخ محمد الغزالي (تاريخه وجهوده وأراءه)، دط، دن، دت.
27. عبد الله العقل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دط، دن، دت، 1469هـ-2001م،
28. يوسف القرضاوي، الشيخ محمد الغزالي كما عرفته، دط، دن، دت،

29. عمر بطيشة ، الشيخ محمد الغزالي شاهد على العصر،
30. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، دط، دت،
31. سقراط: أحد فلاسفة اليونان وحكمائها مؤسس الفلسفة الغربية، تلميذه أفلاطون، توفي في: 399م.
32. محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ط6، دار النهضة، مصر، 2003م.
33. محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط4، مصر، دار نهضة، 2003م،
34. تشارلز داروين، أصل الأنواع نظرية النشوء والارتقاء، ترجمة :إسماعيل مظهر، ن : دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع د- ط، ج2،
35. عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، 1441هـ-2018م، دن، ابن العربي، ج1،
36. موريس بوكاي أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، دط، دت،
37. أنظر: عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان نقد تأويل الآية، ت ن، 30-06-1997م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي الأردن، ص24.
38. الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، النهضة، مصر،
39. محمد الغزالي ، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي ،ط2، دولة الكويتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 14436 هـ/2011
40. محمد الغزالي ، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي ،ط2، دولة الكويتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2019-م- 1431هـ
41. محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام، ط5، دت، 1425هـ- 2004م، دار المقطم القاهرة،
42. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ج1.
43. محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ط6، مصر، دار نهضة،2003م،
44. محمد الغزالي، مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي ،ط2، دولة الكويتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 14436 هـ/2011

رابعا: المقالات والمحاضرات

1. مقال على الشبكة، الحاج أوحمنة دواق، في مفهوم الرؤية الكونية وضرورة مفهمة المعرفة المؤهلة نظريا: الرابط: https : //www.mominoun.com/articles2305 تاريخ الصفح: 2020/8/31، على الساعة: 14:30 ظهراً.

2. راغب الرجاني، محمد الغزالي إمام الأئمة، مقال على الشبكة العنكبوتية، رابط المقال: https //www.ilamstory.com/articles22398 تاريخ الصفح :2020/8/31م.

خامسا: الأحاديث:

1. أبو الفضل أحمد بن علي، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1994م، ج19، ، رقم الحديث:3463، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية.

2. البخاري، الجامع الصحيح، باب فضل السجود، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، ج9، ط1، 1422،

تمت بحمد الله